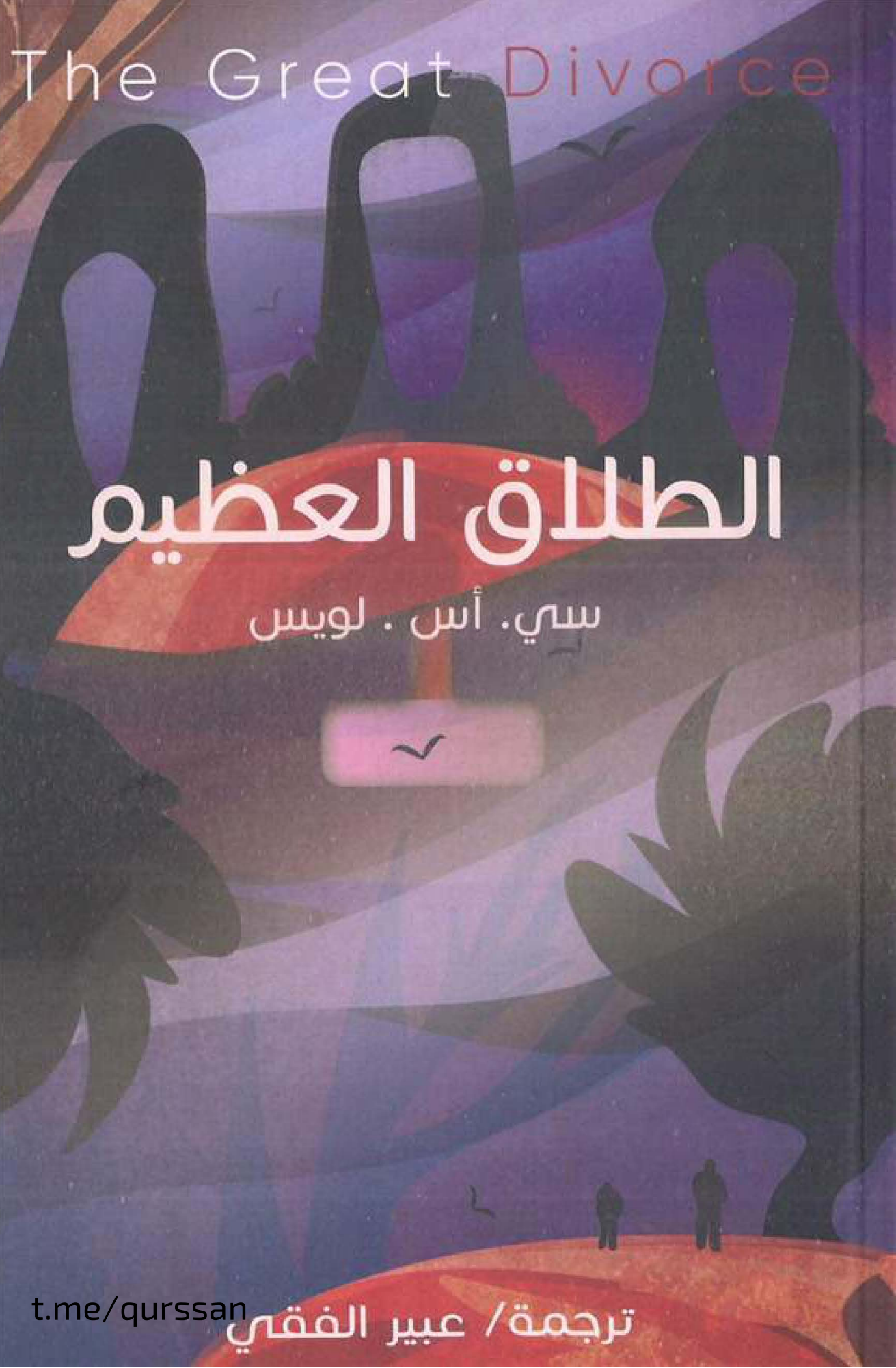

t.me/qurssan

الطلاق العظيم

سي. اس. لويس

ترجمة: عبير الفقي

مصمم الغلاف: الفنانة أمل الرشيدي

الطبعة الأولى 2019

جميع الحقوق محفوظة لدار الفراشة للنشر والتوزيع ـ الكويت، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة. إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أونقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر

All rights reserved، is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book، or part thereof، or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information، whether electronic or mechanical، including photocopying، recording، or storage and retrieval، without written permission from the rights holders

دار الفراشة للنشر والتوزيع

alfarashapublishing@gmail.com

لكل حكاية مكان

COMMUNITY CENTER

الموزع الرئيس ـ مكتبة رواق ـ الكويت

جميع الاراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولاتعبر بالضرورة عن رأي الناشر

ISBN: 978-1-989492-94-9

t.me/qurssan

رواية

سي. أس. لويس

الطلاق العظيم

ترجمة:

عبير الفقي

t.me/qurssan

t.me/qurssan

تقدمة

لقد كتب بليك[1] عن زواج النعيم بالجحيم. وإذا ما كنت قد كتبت عن طلاقهما، فذلك ليس اعتقادا مني أنني الند المناسب لمثل تلك العبقريّة العظيمة، وليس لشعوري مطلقا بمعرفة مايعنيه ذلك. ولكن بطريقة أو بأخرى، فإن الأمر ليس إلا محاولة لجعل هذا الزواج خالداً. وتستند تلك المحاولة إلى الاعتقاد بأن الواقع لا يقدم لنا احتمالات حتمية تمنح المهارة والصبر وقبل كل شيء الوقت الكافي لإيجاد طريقة ما لاحتضان كل البدائل دائما؛ والتي يمكن لتعديلها أو صقلها أو تحويلها أن يغير الشر بطريقة ما إلى خيرٍ دون أن ننادي برفض نهائي وكامل لأي شيء نرغب في الاحتفاظ به.

ولقد وجدت أن اعتقادي هذا كان خطأ كارثيا. فأنت لا يمكنك اصطحاب جميع أمتعتك في كل رحلاتك فثمة رحلة واحدة حتى يدك وعينك اليمنى قد تكونا من الاشياء التي يتوجب عليك تركها خلفك. نحن لا نعيش في عالم حيث تتخذ كل الطرق فيه شكلا نصف دائري، واذا ما تتبعت تلك الطرق جميعها لفترة كافية،

---

(1)«زواج النعيم والجحيم» كتاب من تأليف الشاعر والكاتب والرسام الانجليزي وليم بليك (28 نوفمبر 1757 ـ 12 أغسطس 1827) وهو عبارة عن سلسلة من النصوص الشعرية والنثرية في شكل نبؤة توراتية. (المترجمة)

t.me/qurssan

ستجدها تقترب تدرجياً ثم تلتقي في النهاية بالمركز. ولكننا نحيا في عالم حيث تتفرع كل طريق بعد أميال قليلة إلى اثنتين، وكل واحدة من هذه الطرق تتفرع إلى اثنتين مرة أخرى، وعند كل مفترق يجب عليك اتخاذ قرار.

حتى على المستوى البيولوجي فإن الحياة ليست مثل بركة استحمام ولكنها مثل شجرة، لا تتحرك قدما نحو التوحد، بل بعيداً عنه، والمخلوقات تتفرق عن بعضها كلما ازدادت في الكمال. حسنا، ولأنها تنضج، يكبر الاختلاف باستمرار ليس فقط من جانب الشر ولكن من جانب الخير.

أنا لا أعتقد أن جميع الذين يختارون طرق خاطئة يهلكون، لكن إنقاذهم يتألف من إعادة وضعهم على الطريق الصحيحة. إذ يمكنك تصحيح مجموع خاطئ فقط بالعودة لتجد ماهو الخطأ، ثم بعد ذلك تعمل من جديد انطلاقا من هذه النقطة، وهو أمر لايحدث هكذا ببساطة. إذ يمكن التراجع عن فعل الشر، لكن لا يمكن لذلك أن يتطور إلى أن يكون خيراً. وذلك هو ما لا يلتئم بمرور الوقت. السحر يجب أن يفك شيئا فشيئا، «بكل تلك الأمور الخلفية لتبديد السلطة» ـ وإلا لا شيء آخر. لازال الأمر يتلخص في «أما ـ أو».

وإذا أصررنا على استمرار الجحيم (أو حتى الأرض) فإننا لن ندرك النعيم: واذا قبلنا بالنعيم لن نكون قادرين على الاحتفاظ حتى بأصغر الهدايا التذكارية وأكثرها حميمة الآتية من الجحيم.

أعتقد، بالتأكيد أن أي انسان يصل إلى النعيم سيجد أن ما تخلى عنه (حتى في اقتلاع عينه اليمنى) لم يكن شيئا ذا أهمية على وجه

t.me/qurssan

التحديد: إن نواة ما كان يسعى إليه حقا حتى في أكثر أمنياته انحطاطا ستكون هناك، خلف التوقعات، في انتظاره في «البلاد العليا». بهذا المعنى، سيكون صحيحا بالنسبة لأولئك الذين أكملوا رحلتهم (وليس الآخرين) أن يقولوا أن الخير هو كل شيء والنعيم يوجد في كل مكان. لكننا في هذه المرحلة من الطريق يجب ألا نحاول توقع تلك الرؤية الاسترجاعية. وإذا فعلنا ذلك، فمن المرجح أن نعتنق القول الزائف والكارثي والمتخيل من أن كل شيء جيد وأن كل مكان هو النعيم.

ولكن ماذا نطلب من الأرض؟

الأرض التي أعتقد أنه لن يجدها أي أحد في النهاية مكانا مميزا للغاية. أعتقد أن الأرض، إذا تم اختيارها بدلا من النعيم، ستظهر دائما فقط كمنطقة في الجحيم: وإذا وضعت الأرض بعد النعيم، من البداية ستكون جزءا من النعيم ذاته.

ثمة شيئان إضافيان يقالان عن هذا الكتاب الصغير، أولا، يجب أن أقر بديني للكاتب الذي نسيت اسمه والذي قرأت له منذ عدة سنوات في مجلة أمريكية تنشر ما يسمونه «الخيال العلمي». لقد أوحى إلي بمادتي السماوية الصلبة تلك غير القابلة للكسر، على الرغم من أنه استخدم الخيال لغرض أخر مختلف وأكثر إبداعاً.

فالبطل لديه سافر إلى الماضي: وهناك، بشكل مناسب جداً، وجد قطرات المطر التي كانت ستخترقه مثل الرصاص والسندويتشات التي لا يمكن لقوة أن تقضمها ـ لأنه وبالطبع، لا شيء يمكن تغيره في الماضي.

t.me/qurssan

أنا، مع القليل من الأصالة ولكني» آمل» في لياقة مساوية تنقل هذا العمل إلى الخلود. وأتمنى اذا كان كاتب هذه القصة قد قرأ هذه السطور أن يتقبل اعترافي بالامتنان.

الشيء الثاني هو، إنني أتوسل إلى القراء أن يتذكروا أن هذا مجرد خيال مني بالطبع ـ وأنني لم أقصد أن يكون الأمر أخلاقياً. لكن الرسالة هنا هي مجرد افتراض مبتكر: إنها حتى ليست مجرد تخمينات أو تكهنات عن ما قد ينتظرنا بالفعل. وآخر شيء أتمناه هو إثارة الجدل تجاه حقائق تفاصيل الآخرة.

سي. أس. لويس.
ابريل 1945.

t.me/qurssan

«1»

يبدو أنني كنت واقفاً في صف انتظار حافلة على جانب شارع طويل مزر. وكان المساء يقترب والسماء تمطر. كنت أتجول لساعات في شوارع مزرية متشابهة، ومطر دائم، وغسق دائم. بدا الوقت متوقفا في تلك اللحظة الكئيبة، حتى أضاءت بعض المتاجر أنوارها ولم تكن قد أظلمت بعد كي تتضح نوافذها بهيأتها المبهجة. وكما أن المساء لم يكن قد حل في تلك الليلة أبدا، فإن تجوالي كذلك لم يأخذني أبداً إلى أية أجزاء أفضل في المدينة. كنت كلما ذهبت أبعد لم أجد إلا مساكن بائسة، وبائعي سجائر صغار، ولوحات ملصقات معلقة، ومستودعات بدون نوافذ، ومحطات بضائع بدون قطارات، ومحلات بيع كتب من ذلك النوع الذي يبيع كتب لأرسطو.

لم ألتق أحدا مطلقاً. ولكن بالنسبة للحشد الصغير المتواجد في محطة الحافلات، بدت البلدة فارغة بأكملها أعتقد أن هذا هو السبب في انضمامي إلى ذلك الطابور.

سريعا ما حالفني الحظ، فبمجرد أن أخذت مكاني في الصف كانت أمامي امرأة صغيرة منزعجة تقاطع رجلا يبدو أنه كان بصحبتها قائلة «حسنا جدا، لن أذهب إلى هناك مطلقا»، ثم غادرت مطلقا صفيرا.

t.me/qurssan

ـ قال الرجل بصوت وقور جداً:» لا يمكن تخيل الصلاة»، «على الأقل أنا مهتم بالذهاب.

لقد كنت أحاول إرضاءك، من أجل الحصول على السلام». إن مشاعري بالطبع مسألة لا أهمية لها بالنسبة لك. أفهم ذلك تماما» ـ ولكي يناسب الفعل كلماته التي قالها سار مبتعداً أيضا.

ـ «تعال»، فكرت أنا في من يتحدث،

ـ إن هذين المكانين قد تم الفوز بهما.»

كنت الآن بجانب رجل قصير عابس الوجه نظر إلي بتعبير متجهم للغاية قائلا للرجل الذي خلفه بصوت عال دون داع، «هذا النوع من الأشياء قد يجعل المرء حقيقة يفكر مرتين قبل الذهاب.

ـ قال الشخص السمين الآخر بصوت هادر «أية أشياء؟»

ـ «حسنا» قال الرجل القصير «إنه بالكاد نوع المجتمع الذي اعتدت عليه في الحقيقة»

ـ «ها» قال الرجل الضخم: ثم نظر إلى وأضاف «هل تتحمل حديثه هذا أيهاالسيد. أنت لست خائفا منه، أليس كذلك؟ ثم، عندما رأى أنني لم أتحرك التفت فجأة إلى الرجل القصير قائلا:

ـ «إن حديثنا لا يناسبك، أليس كذلك؟». وفي اللحظة التالية قام بلكم الرجل القصير على وجهه وألقى به إلى الأرض.

ـ «دعه ملقى، دعه ملقى» لم يكن الرجل الضخم يوجه كلماته إلى شخص بذاته.

t.me/qurssan

ـ «أنا رجل عادي، وهذا هو ما أنا عليه وعلى أن أحصل على حقوقي مثل أي شخص أخر، أتفهم؟»

بينما لم يُظهر الرجل القصير أي حركة ليحاول العودة إلى صف انتظار الحافلة سريعا ما بدأ يجري مبتعدا. حينها اقتربت بحذر خلف الرجل الضخم وهنأت نفسي على تقدمي في الطابور خطوة أخرى.

لاحقا بعد لحظة ترك شابين مكانهما أمامه وكل منهما يتأبط ذراع الآخر.

كان الاثنان نحيلين وتبدو الثمالة عليهما، وكانا يضحكان بصوت عال بشكل صبياني، حتى إنني لم أكن متأكداً من جنس أي منهما، لكن كان من الواضح أن كل منهما يفضل التواجد مع الآخر عن فرصة وجود مكان له في الحافلة.

ـ «لن نتمكن جميعا أبدا من الدخول»، قال صوت أنثوي منتحب يأتي من الأربعة أماكن التي أمامي.

ـ «سأغير مكاني معك مقابل خمسة شلنات، سيدتي»، قال شخص أخر.

ثم سمعت بعدها رنة المال وصرخة الصوت الأنثوي مختلطاً بضجيج ضحكات من بقية الحشد.

قفزت المرأة المخدوعة من مكانها لتطير فوق الرجل الذي خدعها، لكن الأخرين أقتربواعلى الفور وأغلقوا الطابور ملقين بها بعيدا... لذا بطريقة أو بأخرى تقلصت قائمة الانتظار إلى نسب يمكن التحكم فيها قبل وقت طويل من ظهور الحافلة. لقد كانت مركبة رائعة تتوهج بضوء ذهبي، ملون بشكل مبهر.

t.me/qurssan

بدا السائق نفسه مليء بالنور وكان يستخدم يدا واحدة فقط ليقود بها، والأخرى كان يلوح بها أمام وجه كما لو كان يزيل بخار المطر الغزير.

تصاعد هدير الطابور عندما لاح السائق في الأفق.

ـ «يبدو كما لو أنه قضى وقتا طيبا وهو يقود، إيه... إنه سعيد جداً بنفسه أراهن... يا عزيزي، لماذا لا يمكنه التصرف بشكل طبيعي؟

ـ يظن نفسه أفضل من أن ينظر إلينا.... من يظن نفسه؟... كل هذا الطلاء واللون الأرجواني، أسميه نفايات كريهة.

ـ لماذا لا ينفقون بعض الأموال على بيوتهم التي يمتلكونها هنا؟

ـ يا إلهي! أود لو ألكمه في أذنه.

ـ لم أتمكن من رؤية أي شيء في ملامح السائق يبرر كل هذا، ما لم تكن تلك النظرة السلطوية التي تجعله يبدو عازما على تنفيذ مهمته.

تقاتل زملائي الركاب كالدجاج للحصول على مكان على متن الحافلة رغم أنه كان ثمة متسع من الأماكن لنا جميعا. كنت آخر من ركب الحافلة. وكانت نصف ممتلئة، اخترت مقعداً في الخلف، بعيداً عن الآخرين، لكن شابا أشعث الرأس أتى وجلس بجانبي. وبمجرد أن جلس بدأت الحافلة في التحرك.

ـ قال: «اعتقدت أنك لن تمانع في مرافقتي إياك»، «لأني لاحظت بأن لديك نفس الشعور الذي لدي فيما يتعلق بالصحبة الحالية». لماذا يصرون على المجيء؟ لا يمكنني التخيل. إنهم لن يحبوا المكان على الإطلاق عندما نصل إلى هناك، سيكونون أكثر راحة في منازلهم. الأمر مختلف بالنسبة لك ولي.»

t.me/qurssan

ـ «هل يعجبهم هذا المكان» سألت أنا.

ـ «بقدر مايعجبهم أي شيء» أجاب.

ـ «لديهم دور سينما ومحلات بيع السمك والرقائق، والإعلانات، وكل أنواع الأشياء التي يرغبونها. إن النقص المروع في الحياة الفكرية لا يقلقهم. لقد أدركت حالما وصلت إلى هنا أن ثمة خطأ ما. كان يجب أن أستقل الحافلة الأولى لكني خدعت بمحاولة ايقاظ الناس هنا. لقد وجدت قليلا من الزملاء الذين عرفتهم من قبل وحاولت تشكيل دائرة صغيرة منهم، لكن يبدو أنهم غرقوا إلى مستوى ما يحيط بهم. حتى قبل مجيئنا إلى هنا، كان لدي بعض الشكوك حول رجل مثل **سريال بللو**. لقد اعتقدت دائما أنه يستخدم لغة مزيفة. لكنه على الاقل كان ذكياً: إذ يمكن للمرء أن يحصل على بعض الانتقادات التي تستحق أن يستمع لها، حتى لو كان فاشلا في الجانب الإبداعي. لكن الآن يبدو أنه لم يتبق شيء غير ذوقه الذاتي. في المرة الأخيرة التي حاولت أن أقرأ عليه بعض من كتاباتي... لكن انتظر دقيقة، أود لو أن تطالعها بنفسك».

انتابتني قشعريرة عندما أدركت أن ما كان يحاول إخراجه من جيبه هو رزمة من الأوراق مكتوبة على الآلة الكاتبة. تمتمت شيئا عن عدم وجود نظارتي معي، فصاح،» هالو، لقد غادرنا الأرض.»

كان الأمر صحيحا، إنها عدة مئات من الأقدام أسفلنا، بالفعل كانت الأسطح الرطبة لنصف المدينة مخبأة تحت المطر والضباب وتبدو منتشرة دون انقطاع بالقدر الذي يمكن للعين أن تصل إليه.

t.me/qurssan

«2»

لم أترك طويلا تحت رحمة الشاعر ذي الرأس الأشعث، لأن راكبا آخر قاطع محادثتنا: لكن قبل أن يحدث ذلك كنت قد عرفت الكثير عنه. لقد بدا أنه رجل وحيد تعرض لسوء المعاملة. لم يكن والداه يقدرانه أبداً، ولم تضف أي من المدارس الخمس التي درس فيها لموهبة ومزاج مثل مزاجه أي شيء. وما زاد الطين بلة هو أنه كان بالضبط نموذجا للفتى الذي تختبر حالته مع النظام أقصى قدر من الظلم والسخافة. لم يكن إلا عندما وصل إلى الجامعة حينما بدأ يستوعب أن كل تلك المظالم التي تعرض لها لم تأت مصادفة ولكنها كانت نتائج حتمية لنظامنا الاقتصادي. لم تستعبد الرأسمالية العمال فقط، بل أفسدت أيضا الذوق وأصابت الفكر بالابتذال: ثم نظامنا التعليمي وبالتالي كان ثمة نقص «إدراك» بالعبقرية الجديدة.

هذا الاكتشاف حوله إلى شيوعي. ولكن عندما انتهت الحرب ورأى روسيا تتحالف مع الدول الرأسمالية، وجد نفسه أكثر انعزالا واضطر أن يصبح معارضاً أخلاقياً. وأعترف أن كل ذلك الإذلال الذي تعرض له في هذه المرحلة من حياته المهنية، كان هو ما جعله يشعر بكل هذا السخط. ثم قرر أنه يمكن أن يخدم القضية بشكل أفضل من خلال الذهاب إلى أمريكا: ولكن بعد ذلك دخلت أمريكا

t.me/qurssan

الحرب أيضا. في هذه المرحلة، فجأة رأى أن السويد هي موطن الفن الريديكالي الحديث، لكن الطغاة المتعددين لم يمنحوه أية تسهيلات تمكنه من الذهاب إلى السويد.

كذلك كانت لديه مشكلات مالية، فوالده الذي لم يقدم له أبداً أكثر من الإعجاب الفظيع بالذات وغطرسة العصر الفيكتوري، لم يكن يمنحه بدلا ماليا كافياً. كما كان يتعرض لمعاملة سيئة جداً أيضا من قبل فتاة أحبها، كان يظن أنها شخصية متحضرة وبالغة، ثم اكتشف أنها عبارة عن كتلة من التحيزات البرجوازية والغرائز الأحادية. الغيرة والتملك، على وجه الخصوص كانت من الصفات التي لم يحبها فيها.

ثم في النهاية أظهرت نفسها ليتضح له أنها شخصية دنيئة. وكانت تلك هي القشة الأخيرة. كان مستمراً في الشكوى... عندما حاولت تجاوز الحديث لكنه لم ينتبه وظل مسترسلاً يخبرني أنه حتى بعدها، استمر سوء الحظ في ملازمته. لقد أُرسل إلى المدينة الرمادية. لكن بالطبع، كان الأمر خطأ. كان يؤكد لي أن كل المسافرين سيكونون معي في رحلة العودة. فيما عدا هو الذي لن يعود. كان سيبقى «هناك» فقد كان واثقا تماما من أنه سيذهب أخيراً حيث لم تعد روحه الناقدة غاضبة من البيئة غير المناسبة وحيث سيجد «الاعتراف والتقدير».

في هذه الأثناء، بما أنه لم تكن النظارات بحوزتي، كان سيقرأ لي المقطع الذي بدا فيه **سيريالبللو** شديد الحساسية....و عندها فقط توقفنا. كانت واحدة من المشاحنات المستمرة في الحافلة في حالة غليان وكان ثمة تدافع للحظة. ثم سُحبت السكاكين: وأطلقت

t.me/qurssan

المسدسات: لكن كل شيء بدا غير مؤذ بشكل غريب، وعندما انتهى الأمر وجدت نفسي لم أصب بأي أذى، وأن كنت وجدت نفسي في مقعد مختلف ومع رفيق جديد. كان رجلا ذا مظهر ذكي وأنف بصلي الشكل ويرتدي قبعة بولينج.

نظرت خارج النوافذ. كنا الآن على ارتفاع عال للغاية بحيث لم يعد بإمكاننا تمييز من أسفلنا. فلم أتمكن، إذن، من رؤية الحقول، والأنهار، أو الجبال، وتكون لدي انطباع أن المدينة الرمادية لاتزال تملأ مجال الرؤية بأكمله.

ـ قلت متطوعا «يبدو وكأنه الوجه الثاني للمدينة» وهو ما لا يمكنني فهمه. فالأجزاء التي رأيتها منها كانت فارغة للغاية. هل كان هناك عدد سكان أكبر من ذلك في أي وقت مضى؟»

ـ «لا على الإطلاق» قال جاري.

ـ «المشكلة هي أنهم يتشاجرون. وبمجرد وصول أي شخص يستقر في شارع ما وقبل أن يقضي هناك أربع وعشرين ساعة يخوض شجارا مع جاره. وقبل أن ينتهي الأسبوع يشتد الشجار للدرجة التي يقرر فيها الرحيل. وغالبا ما يجد الشارع المجاور فارغا لأن الناس هناك خاضوا شجارا أيضا مع جيرانهم، ثم رحلوا. لذلك يستقر في المكان، وإذا وجد أن الشارع ممتلئا بأي شكل، فإنه يذهب إلى مكان أبعد. لكن حتى لو بقي، فإن الأمر لا يمثل أي احتمالات. فهو متأكد من أنه سيخوض شجارا آخر قريبا جداً ثم ينتقل مرة أخرى. وفي نهاية الأمر سوف ينتقل إلى حافة المدينة ويقوم ببناء منزل جديد. أترى الأمر سهلا هنا. ما عليك سوى التفكير في منزل لتجده. وهكذا تستمر المدينة في النمو.»

t.me/qurssan

ـ «بأن يتركوا المزيد والمزيد من الشوارع الفارغة؟»

ـ «هذا صحيح»، والوقت نوع غريب من الاحتمالات هنا. هذا المكان حيث لحقنا بالحافلة يبعد بألف ميل عن المركز المدني حيث كل الوافدين الجدد الذين يصلون من الأرض. كل الأشخاص الذين قابلتهم كانوا يعيشون بالقرب من محطة الحافلات: لكنهم استغرقوا قرونا من الوقت للوصول إلى هناك، عن طريق الاقصاء التدريجي».

ـ «وماذا عن الوافدين في وقت سابق؟» أعني ـ يجب أن يكون هناك أناس قد وفدوا إلى المدينة من الأرض منذ فترة أطول»

ـ «هذا صحيح. ثمة أناس، كانوا يتنقلون باستمرار. وتفرقوا أكثر. إنهم بعيدون جداً الآن للدرجة التي لا يمكنهم فيها حتى مجرد التفكير في الحضور إلى محطة الحافلات مطلقاً لأن المسافات فلكية. ثمة أرض مرتفعة قليلا بالقرب من المكان حيث أعيش ويوجد هناك تليسكوب. يمكنك رؤية أضواء المنازل المأهولة. حيث يعيش هؤلاء القدامى، على بعد ملايين الأميال. ملايين الأميال منا ومن بعضهم البعض. ولا زالوا بين الحين والحين يتنقلون إلى أماكن أبعد. إنها واحدة من الأشياء المخيبة للأمل. إذ تعتقد أنك ستقابل شخصيات تاريخية مثيرة للاهتمام. لكنك لا تفعل: إنهم بعيدون جداً.»

ـ «هل سيصلون إلى محطة الحافلات في الوقت المناسب، إذا ماهموا بالخروج؟»

ـ «حسنا ـ ربما من الناحية النظرية ـ لكنهم سيكونون على بعد بضع سنوات ضوئية. وهم لا يرغبون في ذلك الآن: فهؤلاء الرجال ليسوا مثل تامبيرلين وجنكيز خان، أو يوليوس قيصر أو هنري الخامس.»

t.me/qurssan

ـ «ألم تكن لترغب في ذلك؟»

ـ «هذا صحيح. أقرب هؤلاء القدماء هو نابليون. نعرف ذلك لأن اثنين من الرجال قاما بالرحلة من أجل رؤيته. لقد بدءا منذ فترة طويلة قبل مجيئي، بالطبع، لكني كنت هناك عندما عادا. لقد قضيا ما يقرب من خمسة عشر ألف سنة من وقتنا. كنا قد اخترنا المنزل الآن. مجرد وخزات من الضوء ثم لا شيء بالقرب منه لملايين الأميال».

ـ «لكنهما وصلا إلى هناك؟»

ـ «هذا صحيح. لقد بني لنفسه منزلا ضخماً على طريقة الإمبراطوريات ـ صفوف من النوافذ المشتعلة بالضوء، رغم أنها تظهر من حيث اسكن كوخز دبوس.»

ـ «هل رأيا نابليون؟» نعم هذا صحيح. لقد ذهبا ونظرا عبر واحدة من تلك النوافذ. وكان نابليون هناك ويبدو على مايرام.»

ـ «ماذا كان يفعل؟»

ـ «كان يمشي جيئة وذهاباً طوال الوقت، يميناً، ويسارا لم يتوقف مطلقاً ولو للحظة. لقد راقبه الرجلان لمدة سنة ولم يكن يسترح أبداً. وكان يتمتم لنفسه طوال الوقت بهذه العبارات» لقد كان خطأ سولت. لقد كان خطأ نيا. لقد كان خطأ جوزيفين. لقد كان خطأ الروس. لقد كان خطأ الانجليز.» هكذا طوال الوقت. لم يكن يتوقف أبدا ولو للحظة. كان رجلاً ضيلاً، وسميناً وكان يبدو متعباً. لكنه لم يبد قادرا على التوقف. من الاهتزازات التي كنت أشعر بها، استجمعت أفكاري أن الحافلة كانت لا تزال تتحرك. ولكن لم يكن هناك شيء يمكن رؤيته عبر النوافذ، لم يكن هناك إلا الفراغ الرمادي بالأعلى والأسفل.

t.me/qurssan

ـ «أتستمر المدينة في الامتداد إلى أجل غير مسمى؟»، قال.

ـ قال الرجل الذكي «هذا صحيح»، «ما لم يستطع أحد القيام بشيء حيال ذلك.»

ـ «ماذا تعني بذلك؟».

ـ «حسنا، في واقع الأمر، بيني وبينك وبين الجدار، هذه هي وظيفتي في الوقت الراهن. المشكلة في هذا المكان، ليس أن الناس يتشاجرون ـ فهذه هي الطبيعة البشرية، وكانت دائما هكذا حتى فوق الأرض ـ المشكلة هي أنهم ليس لديهم احتياجات. فكل ما تحتاج إليه يحضر إليك (ليس بجودة عالية، بالطبع) بمجرد أن تتخيله. هذا هو السبب أن الأمر لا يكلف أي مشقة للانتقال إلى شارع آخر أو بناء منزل آخر. بعبارة أخرى لا يوجد أساس اقتصادي مناسب لأي حياة مجتمعية. اذا احتاجوا متاجر حقيقية، سيضطر الرجال إلى البقاء بالقرب من المحلات التجارية الحقيقية. إذا احتاجوا الى منازل حقيقية، فعليهم البقاء بالقرب حيث يكون البنائين. إنها الندرة التي تمكن من إيجاد المجتمع. حسنا، هذا هو المكان الذي أتيت منه. أنا لست ذاهبا في هذه الرحلة من أجل الحفاظ على صحتي. لا أعتقد أن هذا يناسبني هناك. ولكن إذا استطعت العودة مع بعض السلع الحمراء ـ أي شيء على الإطلاق يمكنك حقا أن تأكله أو تشربه أو تجلس فوقه، ولمرة واحدة سوف ستجد أن هناك طلبا على مدينتا. حينها سأبدأ عملا صغيراً. وسيكون لدي شيء لأبيعه. وسرعان ما ستجد الناس يأتون ليسكنوا بالقرب من المركز. يمكن أن يستوعب شارعين مأهولين تماما من الناس الذين ينتشرون الآن على مساحة

t.me/qurssan

مليون ميل مربع من الشوارع الخالية. سأحقق ربحاً صغيرا لطيفا وسأكون قد فعلت الخير أيضا.

ـ «هل تقصد، إنهم إذا اضطروا للعيش معا، سيتعلمون تدريجيا أن يتشاجروا أقل من المعتاد؟»

ـ «حسنا، أنا لا علم لي بذلك. لكن أعتقد أنه سيمكن من إبقائهم أكثر هدوءا. وسيكون لديك فرصة لبناء قوة شُرطية. تفرض نوعاً من الانضباط في نفوسهم. على أية حال (وهنا خفض صوته) سيكون ذلك من الأفضل، كما تعلم. الجميع يقر بذلك. وهو أن السلامة في الأعداد».

ـ «السلامة من ماذا؟» بدأت أسأل، لكن رفيقي دفعني بكوعه حتى أصمت. فغيرت سؤالي.

ـ «لكن أنظر هنا،» قلت أنا، «اذا استطاعوا الحصول على كل شيء بمجرد تخيله، فلماذا يريدون أي أشياء حقيقية، كما تسميها؟»

ـ «آه، حسنا، إنهم يرغبون في المنازل الحقيقية التي تبقي المطر بعيدا حقاً.»

ـ «ألا تفعل بيوتهم الحالية ذلك؟»

ـ «حسنا، بالطبع لا. كيف يمكنها فعل ذلك؟»

ـ قلت «ماالفائدة إذن من بنائها؟»

ـ اقترب الرجل الذكي برأسه من رأسي وهو يتمتم: «مرة أخرى من أجل السلامة».

t.me/qurssan

ـ «على الأقل، الشعور بالأمان. ربما كل شيء على مايرام الآن، لكن فيما بعد... أنت تفهم».

ـ «ماذا؟» قلت، وصوتي ينخفض لا أراديا ليصبح همساً.

ـ تلفظ الكلمات دون صوت وكأنه توقع أنني سأفهم قراءة الشفاه. وضعت أذني بالقرب من فمه. وقلت له «تحدث».

ـ قال «سوف تحل الظلمة عما قريب».

ـ قلت «هل تعني أن المساء سيتحول إلى ليل في النهاية؟»

ـ أومأ لي برأسه.

ـ «ماعلاقة هذا بالأمر؟» قلت.

ـ «حسنا... لا أحد يريد أن يكون خارج الابواب عندما يحدث ذلك.»

ـ «لماذا؟»

كان رده ملتبسا للدرجة التي كان على أن أطلب منه تكرار ما يقول عدة مرات. وعندما فعل ذلك، كان منزعجا قليلا (كما ينزعج المرء غالباً من الهامسين). أجبت دون تذكر خفض من صوتي.

ـ «سألت من هؤلاء؟». «وما الذي تخاف أن يفعلوه بك؟»، «ولماذا يخرجون عندما يحل الظلام؟ وماالحماية التي يمكن أن يمنحها منزل خيالي إذا كان هناك أي خطر؟».

ـ «هاي!» صاح الرجل الضخم.

ـ «من يتحدث عن كل تلك الأشياء؟» توقفا عن همسكما أنتما الاثنان إذا كنتما لا تريدان الاختباء، أتفهمان؟»

t.me/qurssan

ـ «هذا هو ما أسميه نشر شائعات». اخرس يا **أيكي**، أتفهم؟

ـ تذمر الركاب قائلين «صحيح تماما، إنها فضيحة. يجب أن تتم محاكمتهما. كيف وصلا إلى الحافلة؟».

أرجع الرجل السمين حليق الذقن الجالس في المقعد أمامي ظهره إلى الوراء ووجه لي الكلام بنبرة صوت مهذبة.

ـ «عفوا، لم أستطع عدم سماع جزء من محادثتك. إنه لمن المدهش كيف أن هذه الخرافات البدائية مازالت قائمة. معذرة؟ بارك اللّه روحي. ليس هناك مايدل على أن هذا الشفق سيتحول إلى ليل.

لقد كانت هناك ثورة رأي حول ذلك الموضوع في الدوائر المتعلمة. أنا مندهش أنك لم تسمع بها. جميع تخيلات وكوابيس أسلافنا تم التخلص منها بعيداً. مانراه الآن في هذا الضوء الخافت والرقيق ما هو إلا بشائر الفجر: التحول البطيء لأمة بأكملها تجاه النور. يحدث ببطء، وبالتدريج، بالطبع.

«وليس من خلال النوافذ الشرقية فقط، فعندما يأتي النهار، يأتي بالنور. وهذا الشغف للسلع «**الحقيقية**» الذي يتحدث عنه صديقنا ماهو إلا شغف مادي فقط، كما تعلم. إنه شيء تراجعي. وثابت! ذلك الاشتياق للمادة. لكننا ننظر إلى هذه المدينة الروحية ـ مع كل خطاياها هي روحانية ـ كحضانة لوظائف الإنسان الابداعية، التي تحررت الآن من عوائق المادة، لتبدأ في تجربة أجنحتها. يالها من فكرة سامية».

بعد ساعات حدث تغير هناك. وبدأ الضوء يشتد في الحافلة. ثم

t.me/qurssan

تحول اللون الرمادي خارج النوافذ من لون الطين إلى لون صدفي ثم إلى أزرق خافت، ثم إلى أزرق مشع مزعج للعين. وبدونا وكأننا نطفو في فضاء نقي. ولم تكن هناك يابسة، ولا شمس، ولا نجوم في الأفق: فقط هاوية مشعة. قمت بفتح النافذة بجانبي. فدخل هواء منعش لثانية، ثم صرخ الرجل الذكي «ماذا تفعلون بحق الجحيم؟» ثم مال بحدة تجاهي وسحب النافذة.

ـ «هل تريدنا جميعا أن نموت من البرد؟».

ـ «اضربه بقبضتك» قال الرجل الضخم.

نظرت داخل الحافلة. وعلى الرغم من أن النوافذ كانت مغلقة، كانت الحافلة تفيض بالنور. كان ثمة ضوء قاس. وانكمشت على نفسي حين نظرت إلى الوجوه والأشكال التي كنت محاطا بها. كانت وجوه الجميع ثابتة، لاتفيض بالاحتمالات ولكن بالمستحيلات، بعضها هزيل، وبعضها منتفخ، وبعضها ينضح بشراسة غبية، وبعضها غارق وراء أحلام التعافي؛ لكن جميعها بطريقة أو بأخرى، كان مشوهاً ومتلاشياً. تملك المرء حينها شعورا بأنهم قد يتساقطون في أية لحظة إلى قطع اذا أشتد الضوء. كانت ثمة مرآة معلقة هناك في نهاية جدار الحافلة، لمحت فيها وجهي. وكان الضوء ما زال يشتد.

t.me/qurssan

«3»

لاح جرف في الأفق. اختفى عموديا أسفلنا للدرجة التي لم أستطع رؤية القاع، الذي كان مظلما وأملس. كنا نتسلق طوال الوقت وفي نهاية المطاف كانت قمة الجرف مرئية مثل خط رفيع من الزمرد الأخضر ضيق وممتد كما الوتر في الكمان. وبعد وقت قصير، هبطنا فوق القمة: كنا نطير فوق مستوى، منطقة عشبية حيث يوجد بها نهر عريض. وكنا نفقد الارتفاع الآن: كانت بعض قمم الاشجار العالية أسفلنا بعشرين قدم فقط. ثم، فجأة توقفنا وقفز الجميع، كانت ثمة شتائم، ولكمات، وتوبيخ بألفاظ قذرة، كل هذا كان يصل إلى أذني عندما كان رفاقي المسافرين يتصارعون للخروج من الحافلة.

بعد لحظة لاحقة، وبعد أن نجحوا جميعا في الخروج. كنت وحيدا في الحافلة، وعبر الباب المفتوح أتى إلي سكون منعش لغناء طائر القبرة.

خرجت وكان النور والبرودة التي غمرتني يشبها مثيلاتهما في أي صباح صيفي، الصباح الباكر في اللحظات التي تسبق شروق الشمس، إلا أنه كان ثمة اختلاف معين.

كان يتملكني إحساس بأنني في مساحة أكبر ربما حتى مساحة

t.me/qurssan

أكبر من التي عرفتها من قبل: كما لو أن السماء كانت أبعد ومدى السهول الخضراء أوسع مما يمكن أن يكون فوق هذه الكرة الصغيرة المسماة بالأرض.

كنت قد «خرجت» ليواجهني نوع من الإحساس جعل النظام الشمسي نفسه يبدو مسألة داخلية.

لقد منحني شعورا بالحرية، لكن أيضا شعور بالانكشاف، ربما بالخطر، الذي استمر في مصاحبتي خلال كل ما لحق بعد ذلك.

كان من الاستحالة التواصل مع هذا الشعور، أو حتى أن يحثك على تذكره بمجرد أن تمضي قدما، وهو ما جعلني أشعر باليأس من القدرة على نقل الجودة الحقيقية لكل ما رأيت أو سمعت.

في البداية، بالطبع، كان انتباهي موجها لزملائي المسافرين، الذين كانوا لا يزالون متجمعين في الحي القريب من مكان تجمع الحافلات، على الرغم من أن بعضهم كان قد بدأ في المضي قدما متجها إلى المناظر الطبيعية بخطوات مترددة. وعندما رأيتهم حبست أنفاسي. الآن بعد أن صاروا في النور، بدوا شفافين تماما عندما وقفوا بيني وبين تلك البقعة المبهمة غير المكتملة في ظل بعض الأشجار.

كانوا في الحقيقة أشباحاً: لطخات على هيئة إنسان في ذلك الهواء الساطع. يمكن للمرء أن ينتبه لها أو يتجاهلها كما تفعل بإرادتك لذلك التراب الموجود على النافذة.

لقد لاحظت أن العشب لم ينثن أسفل أقدامهم، حتى قطرات الندى لم تكن مضطربة. ثم عاد عقلي إلى انضباطه وعيني إلى تركيزها فرأيت كل الظاهرة بشكل مغاير.

t.me/qurssan

كان الرجال كما هم دائما؛ ربما كالرجال الذين عرفتهم. وكان النور والعشب، والأشجار التي بدت مختلفة؛ مصنوعة من مادة مختلفة. كانت أكثر الأشياء صلابة من التي كانت موجودة في بلدنا هي أن الرجال بالمقارنة كانوا يبدون كالأشباح.

تحركت بتأثير الفكرة المفاجئة، ثم انحنيت محاولا التقاط زهرة أقحوان كانت تنمو عند قدمي. لكن الساق لم ينكسر. حاولت ثنيه، لكنه لم ينثن. جذبته بقوة حتى تعرقت جبهتي وفقدت معظم الجلد الذي كان في راحة يدي. لكن الزهرة الصغيرة كانت صلبة، ليست في صلابة الخشب أو حتى الحديد، لكن في صلابة الألماس. كانت ثمة ورقة ـ ورقة شجر صغيرة طرية ـ ملقاة فوق العشب بجانبها. حاولت التقاط ورقة الشجر تلك، لكن قلبي تصدع تقريبا من الجهد الذي بذلته، وأعتقد أنني بعد مجهود قمت برفعها فقط. لكن كان على تركها في الحال؛ فقد كانت أثقل من شوال فحم. وبينما كنت أقف لأستعيد أنفاسي بجهد كبير وأنا أنظر إلى الزهرة، لاحظت أنني أستطيع رؤية العشب ليس فقط من بين قدمي بل من خلالهما. لقد كنت أنا أيضا شبحاً.

حسنا، من الذي سيمنحني كلمات للتعبير عن رعب ذلك الاكتشاف؟ حينها فكرت

ـ «ياللهول!»، «إنه أنا تلك المرة.»

ـ صرخ أحد الأصوات قائلا لم أحب الوضع!

أزعجني الأمر كان أحد الأشباح يعبرني مسرعا عائدا إلى الحافلة.

t.me/qurssan

ولم يخرج منها مرة أخرى بقدر ما أعرف. وبقى الآخرون ولم أكن متأكدا من كان هذا.

ـ «مرحبا أيها السيد» قال الرجل الضخم، مخاطباً السائق، «متى سوف نعود؟»

ـ أجاب السائق «لا يجب أن تعود أبداً إلا إذا رغبت في ذلك»، «ابق ماشئت» كان ثمة صمت محرج.

ـ قال صوت هامساً في أذني «ببساطة هذا شيء سخيف». كان واحدا من أكثر الاشباح هدوءا واحتراما يجلس بجانبي.

ـ «لا بد وأن هناك بعض من سوء الإدارة»، ثم تابع قائلا: «ما معنى أن يتم السماح لهذا الجمع من الرعاع أن يتجولوا هنا طوال اليوم؟ أنظر إليهم. إنهم لا يستمتعون بالأمر. سيكونون أكثر سعادة في وطنهم. إنهم لا يعرفون حتى ما يفعلون.»

ـ قلت «أنا نفسي لا أعرف»، «ماذا على المرء أن يفعل؟»

ـ «أوه أنا؟ سوف تتم مقابلتي بين لحظة وأخرى. إنه من المتوقع حضوري. لست منزعجاً من ذلك. لكن الأمر أيضا غير سار أن يصبح المكان كله في اليوم الأول مزدحم بالسائحين. اللعنة، لقد كان الهدف الرئيسي من المجيء إلى هنا هو تجنبهم!»، ثم تركني مبتعداً.

وبدأت أفكر في الأمر. فعلى الرغم من إشارته إلى «الجماهير» على أنهم رعاع، فإن المساحة كانت شاسعة للدرجة التي جعلتني الحظ بصعوبة زمرة الأشباح التي كانت في المقدمة.

كانت المساحات الخضراء والضوء يبتلعهم تقريباً. لكني تمكنت

t.me/qurssan

أن أرى بعيدا جداً ما قد يكون سحابة كبيرة أو مجموعة من الجبال. كنت أتمكن في بعض الأحيان من ملاحظة غابات شديدة الانحدار، ووديان تنساب بعيدا، وحتى مدن جبلية تطفو فوق قمم لا يمكن الوصول إليها. وفي أوقات أخرى كان الأمر يصبح غير واضح. والارتفاع يكون هائلا إلى الدرجة التي لا يستطيع نظري استيعاب مثل هذا الشيء على الاطلاق.

كان النور يسطع فوق القمة: مائلا إلى الأسفل، حيث يصنع بسهولة ظلالا طويلة خلف كل شجرة.

لم يكن هناك أي تغيير أو تقدم مع مرور الساعات. كان شروق أو غروب الشمس بطيء هناك بشكل لا يمكن تصوره. بعد فترة طويلة رأيت الناس يأتون لمقابلتنا. ولأنهم كانوا لامعين استطعت رؤيتهم بينما لايزالون بعيد جدا، وفي البداية لم أعلم أنهم أناس على الإطلاق.

كانوا يقتربون أكثر ميلا بعد ميل. وكانت الأرض تهتز بينما أقدامهم القوية تنغرس في العشب الرطب.

ثم تصاعد ضباب قليل ورائحة حلوة من أثر العشب المسحوق والندى المنثور.

كان بعضهم عراة، والبعض يرتدي أثواب، ولم يكن العراة يبدون أقل تزينا، ولم تخف الأثواب العضلات الضخمة والجلود الناعمة المشعة لهؤلاء الذين كانوا يرتدونها. كان البعض ملتحيا، لكن لا شيء صدمني في تلك المجموعة أكثر من أن أعمارهم لم تكن محددة.

t.me/qurssan

تأتي المرء لمحات، حتى هنا، من نوعية تلك الأفكار المغلوطة في مقارنة رضيع، أو طفل بكهل. هنا كانوا كلهم هكذا. يأتون متساوين. ولم أحب ذلك تماما.

صرخ اثنان من الاشباح ثم جريا إلى الحافلة، وتجمع الباقي منا بالقرب من بعضنا البعض.

t.me/qurssan

«4»

عندما اقترب الناس **المجسمون** منا، لاحظت أنهم كانوا يتحركون في نظام وبعزيمة كما أن كل واحد منهم تخير رجل يخصه في مجموعتنا الغامضة.

ـ قلت لنفسي «سوف تكون هناك مشاهد مؤثرة»، «ربما ليس من الصواب أن أنظر إليها»

ومع ذلك، اختلقت بعض الذرائع الغامضة للقيام بالاستكشاف قليلا. بدا بستان من أشجار الارز على اليمين جذاب فدخلت فيه. كان السير فيه شاقا، والعشب كالماس قاسيا على قدمي الضعيفتين، الأمر الذي جعلني أشعر كما لو أنني كنت أسير فوق صخرة متجعدة، وعانيت من الألم مثل تلك الحورية في قصة هانز أندرسن[1].

ركض طائر أمامي حينها فحسدته. كان ينتمي إلى هذا المكان وكان حقيقيا كما هذا العشب. كان يمكنه أن يثني ساقيه ويغرق نفسه بمياه الندى. ذات مرة تقريبا كنت متبوعا بما اطلقت عليه الرجل

---

(1). The Little Mermaid أو الحورية الصغيرة هي قصة خيالية كتبها الكاتب الدنماركي هانز كريستيان أندرسن (1805 ـ 1875) حول حورية البحر الصغيرة التي ترغب في التخلي عن حياتها في البحر والتخلي عن هويتها كحورية للتحول إلى بشرية.

t.me/qurssan

الضخم ـ ولكي لأكون دقيقا في حديثي، سأقول الشبح الضخم. وهو بدوره كان متبوعا من قبل واحد من الأشخاص النورانيين.

ـ «ألا تعرفني»، صرخ في الشبح: ووجدت أنه من المستحيل ألا ألتفت وأنتبه.

كان وجه الروح المجسمة ـ الذي كان واحدا من هؤلاء الذين يرتدون أروابا ـ جعلني أرغب في الرقص، كان ملهما جدا، ونضارة الشباب واضحة فيه جدا.

ـ «حسنا، أنا ملعون» قال الشبح. «لم أكن لأصدق ذلك. إنها ضربة قاضية عادلة. الأمر ليس صحيحا يا لين، أنت تعرف. ماذا عن جاك المسكين، هه؟ إنك تبدو سعيدا من نفسك، لكن ما أقوله هو ماذا عن جاك المسكين؟»

ـ «إنه هنا» قال الأخر. «سوف تقابله قريبا، إذا بقيت.»

ـ «لكنك قتلته.»

ـ «بالطبع أنا فعلت ذلك. الأمر جيد الآن»

ـ «كل شيء جيد، أليس كذلك؟ جيد بالنسبة لك، أنت تعني ذلك. لكن ماذا عن الشاب المسكين نفسه، المستلقي باردا وميتا؟»

ـ «لكنه ليس كذلك. لقد أخبرتك، سوف تقابله قريبا. لقد أرسل إليك محبته.»

ـ «ما أود فهمه،» قال الشبح، «هو ما أنت هنا من أجله، ويجعلك سعيد جداً، أنت، أيها القاتل، بينما كنت أنا أسير في الشوارع هناك وأعيش في مكان كحظيرة الخنازير كل هذه السنوات».

t.me/qurssan

ـ إنه أمر صعب فهمه في البداية. لكن لقد انتهى الأمر الآن. سوف تكون سعيدا في الوقت الحالي. وحتى ذلك الحين لا حاجة بك للانزعاج حول هذا الموضوع.

ـ «لا داعي للانزعاج بشأن ذلك؟ ألا تخجل من نفسك؟»

ـ «لا. ليس كما تعني. أنا لا أنظر إلى نفسي. لقد تخليت عن نفسي. كان على أن أفعل ذلك. كما تعرف، بعد جريمة القتل. هذا ما فعلته بي. وهكذا كيف بدأ كل شيء.»

ـ «شخصيا»، قال الشيح الكبير مع التركيز الذي يتناقض مع المعنى العادي للكلمة، «شخصيا، كنت أعتقد أنني وأنت يجب أن نكون في الجهة الأخرى. هذا رأي الشخصي.»

ـ «من المرجح جدا أننا سنكون هناك قريبا» قال الآخر. «إذا توقفت عن التفكير».

ـ «انظر إلي الآن» قال الشبح وهو يدق على صدره، (لكن الدق لم يصدر صوت). «لقد كنت مستقيما طوال حياتي. لا أقول إنني كنت رجلا متدينا ولا أقول إنني لم أرتكب أخطاء ولكني فعلت كل ما بوسعي طوال حياتي، هل تفهم؟ لقد فعلت كل ما أستطيع للجميع، ذلك كان نوع الإنسان الذي كنته. لم أطلب أبدا أي شيء لم يكن من حقي. اذا رغبت في مشروب دفعت ثمنه واذا أخذت راتبي قمت بعملي، هل تفهم؟ ذلك هو النوع الذي كنت عليه ولا يهمني من يعرف ذلك.»

ـ «سيكون من الأفضل بكثير عدم الاستمرار في مناقشة ذلك الآن.»

t.me/qurssan

ـ «من الذي يستمر في الجدال؟ أنا لا أجادل. أنا فقط أقول لك أي نوع من الرجال كنت، أتفهم؟ أنا لا أطلب شيئا غير حقوقي. قد تعتقد أنك تستطيع التقليل من شأني لأنك متأنق (الأمر الذي لم تكنه عندما كنت تعمل تحت رئاستي) وأنا فقط رجل فقير. لكن على أن أحصل على حقوقي مثلك، أتفهم؟»

ـ «أوه، لا. الأمر ليس بهذا السوء. أنا لم أحصل على حقوقي، وألا ما كان ينبغي أن أكون هنا. أنت لن تحصل على حقوقك. بالأحرى سوف تحصل على شيء أفضل بكثير. لا تخف أبدا.»

ـ «هذا هو ما أقوله. لم أحصل على حقوقي. لقد بذلت قصارى جهدي دائما. ولم أفعل شيئا خاطئا. وما لا أفهمه هو لماذا يجب أن أوضع تحت إمرة قاتل دموي مثلك.»

ـ «من يدري إذا ما كنت كذلك؟ كن سعيدا فقط وتعال معي.»

ـ «ما الذي تستمر في الجدال بشأنه؟ أنا أخبرك فقط أي نوع من الأشخاص أنا. أنا أريد حقوقي فقط. أنا لا أطلب إحسانا من أحد».

ـ «إذن أفعل ذلك لمرة واحدة، واطلب الإحسان. كل شيء هنا بالطلب ولا شيء يمكن شراؤه.»

ـ أتجرأ وأقول «إن ذلك قد يكون شيئا جيدا بالنسبة لك، اذا اختاروا السماح بدخول قاتل دموي مثلك لمجرد أنه يدعي الفقر في آخر لحظاته. هذه وجهة نظرهم. أما أنا لا أرى نفسي أستطيع الذهاب في نفس القارب معك، أتفهم؟ لماذا يجب علي فعل ذلك؟ أنا لا أريد إحسانا. أنا رجل محترم وإذا حصلت على حقوقي لكنت هنا منذ فترة طويلة ويمكنك أن تخبرهم أنني قلت ذلك.»

t.me/qurssan

ـ هز الآخر رأسه قائلا،» لا يمكنك أن تتعامل هكذا هنا»، «بهذه الطريقة أقدامك لن تصبح صلبة بما يكفي لتتجول على عشبنا. سترهق قبل أن تصل إلى الجبال. والأمر ليس صحيحا تماما، كما تعلم. «قال ذلك والفرح باد في عينيه.

ـ «ما الذي ليس صحيحا؟»سأل الشبح بتجهم.

ـ «أنت لم تكن رجلا محترما ولم تفعل ما بوسعك. لم يكن أحد منا محترما ولا فعل ما بوسعه. فلتحل عليك البركة، الأمر لا يهم. ولا داعي للخوض فيه الآن.»

ـ لهث الشبح قائلا «أنت!»،» لديك من الجرأة لتقول إنني لم أكن شخصا محترما؟»

ـ «بالطبع. هل على أن أتحدث عن كل ذلك؟ سأقول لك شيئا واحدا كبداية. قتل العجوز جاك لم يكن أسوأ الأشياء التي فعلتها. لقد كان فعل لحظيا وكنت نصف غاضب عندما فعلت ذلك. لكني قتلتك عن عمد قلبي. لسنوات، اعتدت أن أظل مستيقظا في الليل أفكر فيما سأفعل بك إذا حدث وجاءتني الفرصة. هذا هو السبب الذي أرسلت من أجله إليك الآن: لأطلب الصفح منك وأن أكون خادمك كلما احتجت واحدا. وإذا كان في ذلك سعادة لك. لقد كنت الأسوأ. لكن كل الرجال الذين يعملون تحت إمرتك كان لديهم الشعور نفسه. لقد جعلت الأمور صعبة علينا، كما تعلم. وجعلتها صعبة على زوجتك وأولادك أيضا.»

ـ قال الشبح «كن في حالك أيها الشاب»، «ولا كلمة، أتفهم؟»لأنني لن أتقبل أي صفاقة منك حول شؤوني الخاصة.»

t.me/qurssan

ـ «ليس هناك شؤون خاصة. «قال الشبح الآخر.

ـ قال الشبح «وسأخبرك بشيء آخر»، «يمكنك الانصراف، أتفهم؟ أنت غير مرغوب فيك. ربما أكون رجلاً فقيراً فقط لكني لن أصنع صداقات مع قاتل، ناهيك عن أخذ النصائح منه. أنا جعلت الأمر صعبا عليك أنت وأشباهك هل فعلت حقا؟ إذا كنت قابلتك هناك كنت سأريك ما سأفعل».

ـ قال الآخر بصوته ضاحكا. «هيا تعال وأرني الآن.» «سيكون من الممتع الذهاب إلى الجبال، لكن سيكون هناك الكثير من العمل.»

ـ «أنت لا تفترض أنني سأذهب معك؟»

ـ «لا ترفض. لن يمكنك الذهاب بمفردك. وأن هو من أرسل إليك.»

ـ «اذا تلك هي الخدعة، أليس كذلك؟ صرخ الشبح، بمرارة ظاهرة، ومع ذلك كان هناك نوع ما من الانتصار في صوته. كان قد تم التماسه: ويمكن له أن يرفض: وهو ما يبدو نوعا من الأفضلية.

ـ «لقد اعتقدت أنه سيكون هناك نوع من هذا الهراء الملعون، إنها كلها مجرد شبكة، كلها شبكة لعينة. قل لهم إنني لست قادما، أتفهم؟ أفضل أن أكون ملعونا على أن أذهب معك. لقد جئت هنا لأحصل على حقوقي، أتفهم؟ لا أن أتذلل للحصول على إحسان مشروط بمسامحتك. إذا لم يوافقوا على أن يأخذوني بدونك، سأعود إلى البيت.»

ـ لقد كان سعيدا تقريبا الآن لأنه يستطيع إلقاء التهديدات.

ـ «هذا ما سأفعله،» وكرر ذلك، «سوف أذهب إلى البيت، لم

t.me/qurssan

أحضر إلى هنا ليتم معاملتي مثل الكلب. سوف أذهب إلى البيت. هذا ما سأفعله. اللعنة عليكم جميعا...» وفي النهاية، ظل يتذمر، ويتأوه قليلا كلما شق طريقه فوق العشب الحاد، حتى غادر.

t.me/qurssan

«5»

للحظة كان هناك صمت تحت أشجار الأرز ثم فجأة بدأت تتكسر. كان اثنان من الأسود مخمليا الأقدام قادمين إلى الفضاء المفتوح، وعيونهم ثابتة على بعضهما البعض، ثم بدءا في اللعب. بدا جسداهما كما لو كانا قد غمسا في النهر الذي كان يمكنني سماع خرير مياهه عن قرب، على الرغم من أن الاشجار كانت تخفيه. لم أحب تلك الصحبة كثيرا، لذا انتقلت بعيدا للعثور على النهر، وبعد اجتياز بعض الشجيرات السميكة المزهرة، نجحت في العثور عليه. تدلت الشجيرات حتى حافة الجرف تقريبا. كان النهر ناعما تماما مثل نهر التايمز، لكنه كان يتدفق بسرعة مثل مجرى جبلي: كان لون المياه خفيف الخضرة، حيث تعلوها الأشجار ولكن كان الحصى في القاع واضحا ويمكن لي عده. بالقرب مني رأيت الناس النورانيين يتحدثون مع الشبح. كان ذلك الشبح السمين ذو الصوت المثقف الذي كان يخاطبني في الحافلة وكان يرتدي الجراميق.[1]

ـ «ولدي العزيز، أنا مسرور لرؤيتك، «قال الروح، الذي كان عاريا وأبيض تماما. «لقد تحدثت إلى والدك المسكين اليوم الآخر وأتساءل أين كنت.»

---

(1). حذاء سميك طويل لحماية القدم.

t.me/qurssan

ـ «ألم تحضره معك «قال الآخر.

ـ «حسنا، لا. إنه يعيش بعيدا عن الحافلة، ولكي أكون صريحا، لقد أصبح مؤخرا غريب الأطوار قليلا. صعب التعامل معه قليلا. فاقد السيطرة على نفسه، ولم يكن مستعد أبدا لبذل أي جهود كبيرة، كما تعلم، إذا تتذكر، لقد اعتاد الذهاب للنوم عندما كنا ـ أنا وأنت ـ نتحدث بجدية!

آه ديك، لن أنسى أبدا بعض محادثاتنا. أتوقع أنك غيرت بعضا من آرائك قليلا منذ ذلك الحين. لقد أصبحت بالأحرى ضيق الأفق في نهاية حياتك: لكن بلا شك قمت بتوسعته مرة أخرى.»

ـ «ماذا تعني؟»

ـ «حسنا، إنه لمن الواضح الآن، أليس كذلك، أنك لم تكن محقا تماما. لماذا فعلت ذلك ياعزيزي، لقد كنت على وشك الإيمان حرفيا بالجنة والنار!»

ـ «لكن ألم أكن محقا؟

ـ «أوه، بالمعنى الروحي، ولأكون متأكدا، مازلت أؤمن بهما بهذه الطريقة. لا زلت، يا ولدي العزيز، أبحث عن المملكة. لكن لا شيء خرافي أو أسطوري...»

ـ «لا داعي لأن تكون ملحدا يا ولدي العزيز، قد لا أكون أرثوذكسيا جداً، بإدراكك لمعنى الكلمة، لكني أشعر أن هذه الأمور ببساطة يجب مناقشتها بجدية وتوقير.»

ـ «مناقشة الجحيم باحترام؟ لقد عنيت ما قلت. لقد كنت في الجحيم: على الرغم من ذلك إذا لم تعد إليها قد تطلق عليها اسم المطهر.»

t.me/qurssan

ـ «استمر، يا ولدي العزيز، استمر. هذا يشبهك. لا شك أنك سوف تخبرني من وجهة نظرك، أنه قد تم إرسالي هناك. أنا لست غاضبا.»

ـ «لكن ألا تعرف؟ لقد ذهبت هناك لأنك مرتد.»

ـ «هل أنت جاد يا ديك؟»

ـ «تماما.»

ـ «هذا أسوأ مما كنت أتوقع. هل تعتقد حقا أن الناس يتعرضون للعقاب بسبب آرائهم الصادقة؟ حتى لو افترضنا ذلك جدلا، أن تلك الآراء كانت خاطئة.»

ـ «هل تعتقد حقا أنه لا توجد خطايا للفكر؟»

ـ «في الواقع، ديك. ثمة تحيز مخفي، وتضليل فكري، وجبن، وجمود. لكن الآراء الصادقة دون خوف ليست خطايا.

ـ «أعرف أنك اعتدت التحدث بتلك الطريقة. لقد فعلت ذلك أيضا حتى نهاية حياتي عندما أصبحت ما تدعوه ضيق أفق. لقد تحول كله إلى آراء صادقة.»

ـ «آرائي بالتأكيد كانت صادقة، لم تكن صادقة فقط ولكن بطولية. لقد أكدتها دون خوف. عندما كفت عقيدة القيامة نفسها عن إثناء قدرة النقد التي وهبني اللّه، رفضتها صراحة. قلت خطبتي الشهيرة وتحديت كل رجال الكنيسة. لقد أخذت مخاطرة في ذلك.»

ـ «أية مخاطرة؟ ما الذي كان من المرجح أن يأتي من ذلك ماعدا ما جاء بالفعل، شعبيتك، ومبيعات كتبك، والدعوات التي تتلقاها، وأخيراً الأسقفية؟».

t.me/qurssan

ـ «ديك، هذا لا يليق، ماذا تقترح؟»

ـ «صديقي، أنا لا أقترح شيئا على الاطلاق. كما ترى، أنا أعرف الآن. دعنا نكون صريحين. آرائنا لم تكن صادقة من قبل. إننا ببساطة وجدنا أنفسنا على اتصال بتيار معين من الأفكار وانغمسنا فيها لأنها بدت حديثة وناجحة. في الكلية، كما تعلم، فقط بدأنا تلقائيا في كتابة مقالات حصلت على علامات جيدة وتقول ذلك النوع من الاشياء التي يتم التصفيق لها. وعندما واجهنا، بصدق وفي العزلة، السؤال الوحيد الذي تغير عنده كل شيء: إذ ما كانت الخوارق في الحقيقة لا تحدث؟ ومتى كانت اللحظة الحقيقية التي قاومنا فيها ضياع الإيمان؟

ـ «إذا كان المقصود بذلك أن يكون رسما لنشوء اللاهوت الليبرالي بشكل عام، فأنا أجيب على ذلك بأنه مجرد تشهير. هل تقترح أن هؤلاء الرجال مثل...»

ـ «ليس لدي شأن بالعموم. ولا بأي رجل غيري وغيرك. أوه، كما تحب روحك، تذكر. تعلم أنك وأنا كنا نتلاعب. ولم نرغب أن يكون الآخر حقيقيا. كنا خائفين من الخلاص الخام، خائفين من التوافق مع روح العصر، خائفين من التهكم، خائفين (قبل كل شيء) من مخاوف روحية حقيقية ومن الآمال.»

ـ «أنا أبعد مايكون عن إنكار أن الشباب قد يرتكبون أخطاء. ربما أيضا يتأثرون بموضة التيار الفكري الوقتي. لكنها ليست مسألة كيفية تشكيل الآراء؟ النقطة هي أنها كانت آرائي، وعبرت عنها بإخلاص.»

ـ «بالطبع. بعد أن يسمح المرء لنفسه بالانجراف، دون مقاومة،

t.me/qurssan

دون صلاة، وبقبول إغراء كل رغباتنا نصف واعين، نكون قد وصلنا إلى نقطة لم نعد نؤمن عندها بالعقيدة. وبنفس الطريقة، ينجرف رجل غيور ولا يقاوم، ليصل إلى النقطة التي يصدق فيها الأكاذيب حول أعز أصدقائه: كما يصل السكير إلى النقطة (في وقتنا الحالي) التي يعتقد فيها أن كأسا آخر لن يؤذيه. أن المعتقدات صادقة بمعنى أنها تحدث كظواهر نفسية في عقل الإنسان. وإذا كان هذا ما تعنيه بالصدق فهي صاقة، وكذلك كنا نحن. غير أن الأخطاء التي تكون صادقة بهذا المعنى لا تكون بريئة.»

ـ «سيكون عليك في لحظة ما أن تجد مبررا لمحاكم التفتيش!»

ـ «لماذا؟ ألأن العصور الوسطى أخطأت في اتجاه واحد، هل يتبع ذلك أنه لا يوجد أخطاء في الاتجاه المخالف؟»

ـ «حسنا، هذا أمر مثير للاهتمام «قال شبح الأسقف. «إنها وجهة نظر.. بالتأكيد، إنها وجهة نظر، في الوقت الحالي...»

ـ «ليس هناك وقت حالي «أجاب الآخر. «آه، لقد انتهى هذا. الآن نحن لا نلهو. لقد كنت أتحدث عن الماضي (ماضيك وماضيّ) فقط من أجل أن ننتهي منه إلى الأبد. جذبة واحدة وينتهي الألم إلى الأبد. يمكنك أن تبدأ بعدها كما لو أن لا شيء حدث على الإطلاق. ستكون أبيض كالثلج. كل ذلك صحيح، كما تعلم. إنه بداخلي، وبالنسبة لك، هو بهذه القوة. وقد أتيت كل هذه الرحلة الطويلة لمقابلتك. أنت رأيت الجحيم: والآن وأنت في أفق الجنة، هل ستتوب وتؤمن؟

ـ «لست متأكدا من أن لدي نفس وجهة النظر التي تحاول توضيحها. قال الشبح.

t.me/qurssan

ـ «أنا لا أحاول توضيح أي شيء»، قال الروح.» أنا اقول لك أن تتوب وتؤمن.»

ـ «لكن يا ولدي العزيز، أنا أؤمن بالفعل، قد لا نتفق تماما، لكنك أخطأت في الحكم علي تماما إذا لم تدرك أن ديني شيء حقيقي جدا وقيم للغاية بالنسبة لي.»

ـ «حسنا جدا «قال الآخر، كما لو أنه يغير خطته. «حسنا، هل تؤمن بي؟»

ـ «بأي معنى؟»

ـ هل ستأتي معي إلى الجبال؟ بداية سيؤدي ذلك، إلى تقوية قدميك. الحقيقة قاسية على أقدام الظلال. لكن هل ستأتي؟

ـ «حسنا، إنها خطة. وأنا على أتم استعداد للنظر فيها. بالطبع يجب أن أطلب بعض الضمانات... يجب أن أضمن أنك ستأخذني إلى مكان حيث أجد مجالا أوسع من المنفعة ونطاق للموهبة التي منحني إياها اللّه ـ وجو من الاستفسار الحر ـ باختصار، كل هذا الذي يعني بالحضارة والحياة الروحية.»

ـ «لا، «قال الآخر. «لا يمكنني أن أعدك بأي من هذه الأشياء، لا مجال للمنفعة: أنت لا حاجة لك بها هناك على الإطلاق. ولا مجال للمواهب التي لديك: فقط المغفرة لأنك حرفتها. ولا مجال لجو الاستفسارات، لأني سآخذك لأرض لا مجال للأسئلة فيها ولكن للإجابات، ولسوف ترى وجه اللّه.»

ـ «آه، لكن يجب علينا جميعا أن نفسر تلك الكلمات الجميلة

t.me/qurssan

بطريقتنا الخاصة! بالنسبة لي لا يوجد شيء أسمه جواب نهائي. فرياح الاستفسارات الحرة يجب أن تستمر دائما في العصف بالعقل، أليس كذلك؟ كل الأشياء الدفينة»... السفر يملؤك بالأمل دائما أفضل من الوصول.»

ـ «إذا كان هذا صحيحاً، ومن المعروف أنه حقيقي، فكيف يمكن لأي شخص أن يسافر أملاً؟ لن يكون هناك ما نأمل فيه».

ـ «لكن ألا تشعر بأن ثمة شيء خانق حول فكرة النهائية؟ الجمود يا ولدي العزيز، وما الأفدح، تدمير النفس أم الجمود؟»

ـ «أنت تعتقد ذلك لأنك حتى الآن لم تجرب الحقيقة إلا بالعقل المجرد. سآخذك حيث يمكنك تذوقها مثل العسل وتحتضنها كما تحتضن من قبل عروس. ولسوف يروى ظمأك.»

ـ «حسنا، في الحقيقة، أنت تعلم، أنا لست على علم بمسألة العطش لبعض الحقائق الجاهزة التي تضع حدا للنشاط الفكري بالطريقة التي تصفها. هل ستترك لي مجال اللهو الحر بالعقل، ديك؟ يجب أن أصر على ذلك، كما تعرف.»

ـ «حراً، كما يكون الرجل حراً ليشرب. وليس حرا ليظل ظامئاً».

ـ بدا الشبح وكأنه يفكر للحظة، ثم قال «لا أستطيع أن أفهم شيئا من هذه الفكرة.

ـ «اسمع! «قالت الروح البيضاء. «عندما كنت طفلا. بمجرد أن تعرف السؤال. كان ثمة وقت قمت بطرح الاسئلة لأنك رغبت في الإجابات وكنت سعيداً عندما وجدتها. كن ذلك الطفل ثانية، حتى الآن.»

t.me/qurssan

ـ «آه، لكني تركت الأشياء الطفولية عندما أصبحت رجلا.»

ـ «لقد أخطأت بشدة، لقد خلق العطش من أجل الماء؛ وخلق السؤال من أجل معرفة الحقيقة. وما تسميه الآن بلعبة الأسئلة الحرة لا علاقة له بالغايات التي منحت لك أكثر من علاقة الاستمناء بالزواج.»

ـ «إذا لم نكن أتقياء، فليس هناك حاجة على الأقل لنكون فاسقين، واقتراحك بأنني يجب أن أعود بعمري إلى وقت الفضول الصبياني المجرد يصدمني لأنه مناف للعقل. على أي حال، فإن مفهوم السؤال والجواب الفكري ينطبق فقط على الأمور الواقعية. فالأسئلة الدينية والتأملية هي بالتأكيد على مستوى مختلف.»

ـ «إننا لا نعرف شيئا عن الدين هنا: نحن نفكر فقط بالمسيح. ولا نعرف شيئا عن التخمين. تعال وانظر. سآخذك إلى الحقيقة الخالدة، منبع كل حقيقة أخرى.»

ـ «أعترض بشدة على وصف اللّه بأنه «حقيقة» من المؤكد أن القيمة العليا ستكون أقل من وصف غير كاف. إنه بالكاد...»

ـ «ألا تعتقد حتى أنه موجود؟»

ـ «موجود؟ ماذا تعني بالوجود؟ ستستمر في الاشارة إلى نوع من الواقع الساكن الجاهز الذي هو إذا جاز التعبير «هناك»، والذي تتوافق فيه عقولنا ببساطة. فهذه الألغاز العظيمة لا يمكن الاقتراب منها بهذه الطريقة. إذا كان هناك شيء من هذا القبيل (ليس هناك حاجة للمقاطعة يا ولدي العزيزي) بصراحة تامة، لا ينبغي أن أهتم بها. أنها لن تكون ذات دلالة دينية. اللّه، بالنسبة لي، هو شيء روحي

t.me/qurssan

محض. روح الحلاوة والنور والتسامح، إلخ، الخدمة ديك، الخدمة. لا يجب أن ننسى أنك تعرف.»

ـ «إذا كان عطش العقل حقا قد مات.. ««قال الروح، ثم توقف كما لو كان يفكر ثم قال فجأة:» هل يمكن على الأقل، أنك لا تزال ترغب في السعادة؟»

ـ «السعادة، يا عزيزي ديك ،» قال الشبح بهدوء، «السعادة، كما ستأتي لتراها عندما تكون أكبر، تكمن في مسار الواجب. وهو ما يذكرني... تباركت روحي، أنني نسيت تقريبا. بالطبع لا يمكنني أن آتي معك. على أن أعود الجمعة المقبلة لقراءة دراسة بحثية. لدينا مجتمع لاهوتي صغير هناك بالأسفل. نعم بالتأكيد! ثمة الكثير من الحياة الفكرية. ربما ليست من نوعية عالية الجودة، فالمرء يلاحظ افتقارا معينا للسيطرة على ارتباك معين في العقل. هذا هو المكان الذي يمكنني أن أكون فيه ذا نفع لهم. هناك توجد غيرة مؤسفة.... لا أعرف لماذا، لكن الأعصاب تبدو أقل سيطرة مما كانت عليه من قبل. لا زال، على المرء ألا يتوقع الكثير من الطبيعة البشرية. أشعر بأنني قادر على القيام بعمل عظيم بينهم. لكنك لم تسأل عن طبيعة بحثي! أنني أتناول النص المتعلق بالنمو إلى مستوى مكانة المسيح وأعمل على فكرة أنا متأكد من أنها ستنال اهتمامك. سأشير إلى كيف ينسى الناس دائما أن المسيح (وهنا انحنى الشبح) كان نسبيا شابا عندما توفى. لأنه لو عاش كان يمكنه أن يتخطى بعض وجهات نظره السابقة. كما كان من الممكن أن يفعل ذلك، بمزيد من اللباقة والصبر. سوف أطلب من جمهوري أن يأخذوا في اعتبارهم ما كان

t.me/qurssan

يمكن لآرائه الناضجة أن تكون. أنه سؤال مثير للاهتمام. يا لها من مسيحية مختلفة ربما كانت لدينا لو فقط وصل المؤسس إلى نضجه الكامل! سأنتهي بالإشارة الى كيف يعمق هذا أهمية حدث صلب المسيح. يشعر المرء لأول مرة بفداحة الكارثة: يا لها من نهاية مأسوية...الكثير من النجاحات اختصرت. أوه، هل يجب عليك أن ترحل؟ حسنا، وأنا أيضا يجب علي الرحيل. وداعا، يا ولدي العزيز. لقد كان من دواعي سروري العظيم، الأكثر تحفيزا واستفزازا. وداعا، وداعا، وداعا.

ـ أومأ الشبح برأسه وابتسم للروح بابتسامة رجل دين ساطعة، مع أفضل مقاربة للأمر، والذي يمكن لهذه الشفاه غير الواضحة أن تصدرها، ثم تحولت بعد ذلك إلى طنين، هادئ هامس لنفسه «مدينة اللّه، كم هي واسعة وبعيدة».

لكنني لم أقف لأشاهده لفترة طويلة، لأن فكرة جديدة طافت بي للتو. وهي إذا كان العشب قاسيا كالصخر، أليس من الممكن أن يكون الماء صلبا بما يكفي للسير فوقه؟ لقد حاولت بقدم واحدة ولم تغرق قدمي. في اللحظة التالية صعدت بجرأة فوق السطح، سقطت على وجهي مرة واحدة وأصبت ببعض الكدمات السيئة. لقد نسيت أنه على الرغم من أنه بدا لي صلبا بما يكفي، فإنه لم يكن أقل في الحركة السريعة. عندما كنت أهم بالنهوض، كنت بعيداً بما يقرب ثلاثين ياردة من الجدول البعيد عن النقطة التي غادرت من عندها أكوام الصخور. لكن هذا لم يمنعني من المشي إلى الجدول لقد كان ذلك يعني فقط أنه على المشي بسرعة جداً وهو ما حققت فيه تقدما قليل جداً.

t.me/qurssan

«6»

كانت المياه الباردة الناعمة اللمعة تشعر قدمي باللذة، وسرت عليها لمدة ساعة تقريبا لبضع مئات من الياردات. ثم تغير السير وأصبح أسرع من ذي قبل. كانت ثمة رقائق هائلة أو جزر من الرغاوي تحوم باتجاهي، تسحق ساقي مثل الأحجار إذا لم أبتعد عن طريقها. أصبح السطح غير متساو، أدار نفسه الى أجوف جميلة وأكواع من الماء، مما شوه مظهر الحصى في القاع وأخل بتوازني، حتى اضطررت إلى النزول إلى الشاطئ. ولكن عندما تكونت أكوام من الأحجار المسطحة الكبيرة، واصلت رحلتي دون أن يؤذي ذلك قدميّ كثيراً. هزت الغابة ضجة هائلة لكنها جميلة، بعد ساعات من السير قابلني منعطفا ورأيت التفسير لهذه الضجة.

كان أمامي، منحدرات خضراء تكون مدرجا عريضا، تحيط به بحيرة مزدهرة ونابضة بالحياة، تمتلئ بالصخور الملونة، يصب فيها شلال. مرة أخرى أدركت أن شيئا ما قد حدث لحواسي، بحيث أصبحت الآن تتلقى انطباعات تتعدى قدراتها الثابتة.

فوق الأرض، لم يكن من الممكن مشاهدة مثل هذا الشلال كاملا على الإطلاق؛ لقد كان كبيرا جدا. صوته سيكون بمثابة رعب في الغابة لمسافة عشرين ميلا. هنا، بعد الصدمة الأولى، حساسيتي

t.me/qurssan

«استوعبت» على حد السواء، كما تستوعب سفينة متينة موجة ضخمة. لقد ابتهجت، على الرغم من الضجيج الهائل، الذي كان مثل ضحكة عملاق: مثل الصخب الصادر عن عمالقة يمرحون ويرقصون ويغنون ويزأرون على أعمالهم الهائلة.

بالقرب من المكان الذي حدث فيه السقوط داخل البحيرة نمت شجرة هناك، كانت مبللة من الرزاز ونصف مغطاة بأقواس من الرغوة، وكانت تومض مع طيور لامعة، لا تعد ولا تحصى طارت من بين فروعها، وارتفعت مثل سحابة عملاقة. ومن كل نقطة كانت تظهر ومضات ذهبية تلمع من خلال الاوراق.

فجأة تحول انتباهي إلى مظهر مثير للاهتمام في المقدمة. كانت ثمة شجيرة زعرور بري لا تبعد أكثر من عشرين ياردة تبدو وكأنها تتصرف بغرابة. ثم أدركت أنها لم تكن الشجيرة ولكنه شيء يقف بالقرب منها وعلى هذا الجانب منها. أخيرا أدركت أنه واحد من الأشباح.

كان يربض كما لو كان يخفي نفسه من شيء وراء الأحراش، وكان ينظر إلى خلفي ويشير إلي، ويستمر في الإشارة لي بأن أنبطح أرضا. وبما أنني لم أتمكن من رؤية الخطر، فقد توقفت بسرعة.

الآن، بعد أن نظر الشبح في كل اتجاه، تجرأ على المغادرة من خلف شجرة الزعرور البري. لكنه لم يستطع السير بسرعة بسبب تألمه من الأعشاب أسفل قدميه، لكن كان من الواضح أنه يسير بسرعة بقدر المستطاع، بشكل مستقيم متجها لشجرة أخرى. وهناك توقف ثانية، واقف بشكل مستقيم كما لو كان يأخذ ستاراً،

t.me/qurssan

ولأن ظلال الفروع كانت تغطيه الآن، أمكنني رؤيته بشكل أفضل. لقد كان لاعب البولنج، رفقتي التي أكرهها، ذلك الشخص الذي كان يلقبه الشبح الضخم بـ أيكي.

بعد أن وقف يلهث عند الشجرة لمدة عشر دقائق، استكشف الأرض بعناية، ثم اندفع إلى شجرة أخرى ومنها كان يندفع مرة أخرى كلما كان ذلك ممكنا.

بهذه الطريقة، وبعمله اللانهائي والحذر، وصل إلى شجرة كبيرة في ما يقرب الساعة. وهذا يعني أنه قد وصل خلال عشرة ياردات منه. وهنا كان مقيداً، لأنه حول الشجرة نما حزام من الزنابق: والذي كان بالنسبة للشبح عقبة لا يمكن تجاوزه. ربما كان كذلك كمن يخطو فوق فخا لاصطياد الدبابات. لقد انبطح أرضا وحاول الزحف بينها لكنها صارت تقترب من بعضها ولم تنثن.

وطوال الوقت كان يبدو وكأنه يطارده رعب الاكتشاف. في كل همسة من الريح يتوقف وينكمش: ذات مرة عندما صرخ طائر، حاول العودة إلى مكانه الذي كان يختبئ فيه: لكن عندها طاردته الرغبة مرة أخرى وزحف مرة أخرى إلى الشجرة. لقد رأيته يشبك كفيه ويتلوى من ألم إحباطه.

كان يبدو أن الرياح تزداد، ثم رأيت الشبح يعتصر يديه ويضع إبهامه في فمه ويعضه بقسوة ـ لا أشك في ذلك ـ عندما كان بين الزنابق التي كانت تتمايل بفعل النسيم.

ثم هبت عاصفة حقيقية، وبدأت فروع الشجرة تتساقط. وبعد

t.me/qurssan

لحظات، وقعت نصف دزينة من التفاح حول الشبح. فصدرت عنه صرخة حادة لكنه سرعان ما بدأ بتفحصها. واعتقدت أن وزن الثمرة الذهبية التي سقطت عليه يمكن أن يعطله: بالتأكيد كان لبضع دقائق، غير قادر على النهوض.

لقد استلقى متذمرا، وهو يعالج جروحه. لكن سرعان ما كان يمارس العمل ثانية. كان يمكنني رؤيته يحاول بحماس أن يملأ جيوبه بثمار التفاح. بالطبع كان ذلك الأمر غير مجد. وكان يمكن للمرء أن يرى كيف تقلصت طموحاته بالتدريج. لقد تخلى أولا عن فكرة أن يملأ جيوبه: فكانت ثمرتان من التفاح كافيتين. ثم كان عليه أن يتخلى عن فكرة التفاحتين، والاكتفاء بواحدة فقط، الثمرة الأكبر. لكنه تخلى عن هذا الأمل أيضا. كما أنه لم يكن يبحث عن ثمرة تفاح أصغر، فقد كان يحاول فقط أن يجد واحدة يمكن له حملها.

المدهش حقا أنه نجح. وعندما تذكرت ما شعرت به عندما حاولت رفع ورقة الشجر لم يكن بإمكاني منع نفسي من الإعجاب بهذا المخلوق التعيس عندما رأيته يقف على قدميه حقا وهو يحمل أصغر ثمرة تفاح في يديه.

كان يعرج من ألم جراحه والوزن المضاعف الذي يجعله يسير وهو محني. ومع ذلك خطوة، بخطوة، كان لا يزال يستطيع الاستفادة من كل جزء من تخفيه، ثم بدأ في رحلته عبر طريق آلامه إلى الحافلة حاملاً عذاباته.

ـ «أيها الأحمق. ضعها» قال صوت جليل فجأة.

t.me/qurssan

لقد كان الأمر مختلفا تماما عن أي صوت سمعته حتى الآن. كان الصوت مدويا ولكنه صوت رخيم. مع يقين مرعب، عرفت أنه الشلال نفسه هو من كان يتحدث: ورأيت الآن (على الرغم من أنه لم يتوقف عن الظهور بمظهر الشلال) أنه كان عبارة عن ملاك منير يقف بهيأة شخص مصلوب على الصخور، يسكب نفسه على الدوام في اتجاه الغابة ببهجة مدوية.

ـ «أيها الأحمق» قال، «ضعها. لا يمكنك أخذها معك. لا يوجد لها مكان في الجحيم. ابق هنا وتعلم أن تأكل مثل هذه التفاحات. الأوراق وشفرات العشب في الغابة ستسعد بتعليمك».

لم أعرف إذا ما كان الشبح قد سمعه أم لا. على كل حال، بعد التوقف لبضع دقائق، استعاد الشبح نفسه من جديد واستمر يتحرك متوجعاً وبحذر أكبر حتى لم أعد أتمكن من رؤيته.

t.me/qurssan

«7»

رغم أنني شاهدت سوء حظ الشبح المتدحرج برضى نفس، إلا أنه عندما تركنا وحدنا، لم أتمكن من تحمل وجود عملاق المياه هذا. لم يبد لي أنه لاحظ وجودي، لكنني أنا أصبحت واعيا بوجوده؛ وبالأحرى أعتقد أني أبديت القليل من عدم الاكتراث المفترض في حركاتي بينما كنت أبتعد عن الصخور المسطحة، أسفل المجرى مرة أخرى، حيث كنت قد بدأت أشعر بالتعب. ثم نظرت للسمكة الفضية التي قفزت فجأة من قاع النهر إلى السطح، وتمنيت بشدة لو أن المياه سمحت لي أنا أيضا بالنفاذ خلالها. كان علي أن أتمنى الغوص.

ـ «هل تفكر في العودة؟» قال صوت قريب. التفت ورأيت شبحاً طويلاً يقف وظهره يستند إلى شجرة، ويمضغ سيجارا شبحياً... كان نوع هزيل من الرجال، ذا مظهر قاس بشعر رمادي خشن، لكنه لم يكن صوتا لشخص غير متعلم: كان من نوع الرجال الذين تشعر دائما غريزيا بالثقة فيهم.

ـ «لا أعرف،» قلت أنا. «هل تفكر أنت؟»

ـ «نعم،» أجاب.

ـ «أعتقد بأنني رأيت كل مايمكن رؤيته هنا».

t.me/qurssan

ـ «أنت لا تفكر في البقاء؟»

ـ «إن كل هذا مجرد دعاية». «قال هو.

ـ «بالطبع لم يكن هناك أي سؤال عن إقامتنا. لا يمكنك تناول الفاكهة ولا يمكنك شرب الماء، وكل وقتك يضيع في المشي على العشب. لا يمكن أن يعيش إنسان هنا. فكرة البقاء هنا مجرد لعبة دعائية.»

ـ «إذا لماذا أتيت؟»

ـ «أوه، أنا لا أعرف. ربما فقط لإلقاء نظرة على المكان. أنا من النوع الذي يحب أن يرى الأشياء من أجل نفسه. أينما كنت، كنت ألقي نظرة على أي شيء يبدو متصدعاً. عندما كنت في الشرق، ذهبت لأرى بكين. عندما...»

ـ «كيف كانت تبدو بكين؟»

ـ «لا شيء، فقط جدار لعين داخل جدار آخر. مجرد فخ للسياح. لقد ذهبت إلى كل مكان. شلالات نياجرا، الأهرامات، سولت لايك سيتي، تاج محل...»

ـ «كيف كان شكلها؟»

ـ «لا تستحق المشاهدة. إنها جميعاً مجرد إعلانات مثيرة. كلها تدار من قبل نفس الأشخاص. كما، أنه كما تعلم ثمة مزيج من حملة دعائية عالمية، لا تفعل شيء غير أنها تأخذ فقط أطلس الجغرافيا ثم يقرر بعد ذلك أين سيكون المشهد. لا يهم ما يختارونه: أي شيء سيؤدي الغرض طالما الدعاية يتم إدارتها بشكل صحيح.»

t.me/qurssan

ـ «وأنت هل عشت هناك في البلدة لبعض الوقت؟»

ـ «في ما يسمونه الجحيم؟ نعم. إنها فاشلة أيضا. يقودونك لأن تتوقع أن هناك نيران حمراء وشياطين وكل أنواع البشر المثيرة للاهتمام الذين يتم شيهم على الشواية ـ هنري الثامن وكل هؤلاء، لكنك عندما تذهب إلى هناك تجدها مثل أي مدينة أخرى.

ـ «أنا افضل المكان هنا،» قلت أنا.

ـ «حسنا، أنا لا أرى هنا كل ما يتم الحديث عنه «قال الشبح ذو الملامح القاسية. «إنها جيدة مثل أي حديقة أخرى تشاهدها، ثم تشعرك بعدم الارتياح»

ـ يبدو أن هناك بعض الأفكار التي تروج على أنه إذا بقي المرء هنا، فإنه سيصبح على مايرام، ويتأقلم معها.»

ـ «أعلم كل شيء عن هذه الأفكار «قال الشبح.

ـ «إنها نفس الكذبة القديمة. كان الناس يقولون لي هذا النوع من الأشياء طوال حياتي. قالوا لي في الحضانة إن كنت جيدا سأكون سعيدا. وقالوا لي في المدرسة أن اللغة اللاتينية ستصبح أسهل كلما مارستها. وبعد أن تزوجت لمدة شهر قال لي أحد الحمقى إنه دائما ما تكون هناك صعوبات في أول الأمر، لكن مع اللباقة والصبر، سرعان ما «سأستقر» وأحب الأمر! وخلال كل من الحربين لم يقولوا لي عن ماهو التوقيت المناسب وإذا ما كنت ولدا شجاعا مستمرا في القتال رغم إطلاق النار عليه. بالطبع سوف يلعبون نفس اللعبة القديمة هنا إذا كان ثمة أي شخص أحمق بما يكفي للاستماع لهم».

t.me/qurssan

ـ «ولكن من هم هؤلاء؟ هل يمكن أن يتم إدارة هذا الأمر من قبل شخص مختلف؟

ـ «إدارة جديدة تماما، ها؟ لا أصدق ذلك! لن يكون هناك أبدا إدارة جديدة. سوف تجد دائما نفس العصابة القديمة. أنا أعرف كل شي عن ذلك يا عزيزي، كأمك عندما تحضر إلى غرفة نومك لتحصل على كل ما تريد معرفته منك: لكنك دائما ما تجد أنها وأبيك هما نفس المؤسسة حقا. ألم نجد أن كلا الجانبين في كل الحروب كانا يداران من قبل نفس شركات السلاح؟ أو نفس المؤسسة، التي يقف وراءها اليهود والفاتيكان والدكتاتوريون والديمقراطيات وجميع الباقي منها. هذه الأشياء يتم إدارتها من قبل نفس الأشخاص مثل هذه البلدة. إنهم فقط يضحكون علينا.»

ـ «اعتقدت أنهم كانوا في حالة حرب؟»

ـ «بالطبع اعتقدت ذلك، هذه هي النسخة الرسمية. لكن من رأى أبدا أي علامات على ذلك؟

أه، أنا أعرف أن تلك هي الطريقة التي يتحدثون بها. لكن إذا كانت ثمة حرب حقيقية لماذا لا يفعلون شيئا حيالها؟

ألا ترى أنه إذا كانت النسخة الرسمية صحيحة فإن هؤلاء الأبطال هناك سيقومون بالهجوم ويخرجون البلدة من الوجود؟ إن لديهم القوة لفعل ذلك. لديهم القوة. إذا أرادوا إنقاذنا يمكنهم فعل ذلك. لكن من الواضح أن آخر ما يريدونه هو ما يسمونه «بالحرب». فكل اللعبة تعتمد على إبقائها مستمرة». هذه المجادلة حول هذا الامر أدهشتني إلى حد عدم الراحة. لذا لم أقل شيئا.

t.me/qurssan

ـ «على أية حال «قال الشبح، «من الذي قد يرغب في أن يتم إنقاذه؟ ماذا بحق الجحيم هنا لنفعله؟»

ـ «أو هناك؟»قلت أنا.

ـ «بالضبط» قال الشبح.» لقد تمكنوا منا في كلتا الحالتين.»

ـ «ماذا تحب أن تفعل إذا كان لديك الاختيار؟»سألت أنا.

ـ «ها أنت ذا!» قال الشبح بنغمة انتصار معينة.»

ـ «تسألني أن أضع الخطة. إن الأمر متروك للإدارة لإيجاد شيء لا يصيبنا بالملل، أليس كذلك؟ إنها وظيفتهم. لماذا علينا أن نؤديها بدلا منهم؟

هذا هو ما حدث حين قلب كل الكهنة والأخلاقيين الشيء رأسا على عقب. لقد استمروا في مطالبتنا بتغير أنفسنا. لكن إذا كان الأشخاص الذين يديرون ذلك العرض أذكياء جدا وأقوياء جدا، لماذا لا يجدون شيئا يناسب جمهورهم؟ وكل هذا الكلام التافه عن كيف أن المرء يوشك على أن يصبح مجسدا حتى لا يؤذي العشب أقدامنا، الآن!

خذ مثال على ذلك، ماذا ستقول إذا ذهبت إلى فندق حيث كان البيض كله فاسدا؛ وعندما تقدمت بشكوى إلى المدير، بدلا من أن يعتذر لك ويقوم بتغير المزرعة التي يتعامل معها، أخبرك أنك اذا حاولت فقط سوف يعجبك البيض الفاسد بمرور الوقت؟»ثم «قال الشبح بعد صمت قصير «حسنا، سأستمر»

ـ «هل أنت ذاهب في اتجاهي؟»

t.me/qurssan

ـ «لا يبدو أن هناك منطق من الاستمرار في عرضك «أجبته أنا بشعور كبير بالاكتئاب يملؤني، «على الأقل فإنها لا تمطر هنا.»

ـ «ليس في اللحظة الحالية.» قال الشبح ذو المظهر القاسي، «لكنني لم أر يوما مثل هذه الصباحات المشرقة لم تتحول إلى صباحات ممطرة في وقت لاحق. وعندما تمطر هنا!

آه، أنت لم تفكر في ذلك» لم يخطر لك أنه مع نوع المياه التي لديهم هنا أن كل قطرة مطر سوف تسبب حفرة بك، مثل بندقية رش آلي. كما ترى هذه هي دعابتهم الصغيرة. أولا، يعذبونك بأرض لا يمكنك السير عليها، ومياه لا يمكنك شربها، ثم بعد ذلك يحفرون فيك ثقوبا كاملة. لكنهم لن يمسكوا بي أبدا بهذه الطريقة.» ثم تحرك بعد بضع دقائق مبتعداً.

t.me/qurssan

«8»

جلست دون حراك فوق حجر على جانب النهر شاعرا بالبؤس كما لم أشعر مطلقا في حياتي. حتى الآن لم يحدث أن شككت في نوايا الناس المجسمة، ولا شككت في الخير الجوهري لديهم حتى لو كان بلدا لم أستطع العيش فيه طويلا. لقد عبر ذهني ذات مرة بالفعل أنه إذا كان هؤلاء الأشخاص مجبولين على الخير كما سمعت ذات مرة من واحد أو اثنين منهم يدعون ذلك، ربما كان يمكنهم فعل شيئا لمساعدة سكان المدينة ـ أكثر من مجرد اللقاء بهم عند السهل. ثم خطر بذهني تفسيرا رهيبا للأمر. كيف هو الأمر لو أنهم لم يقصدوا أبدا فعل الخير على الإطلاق؟ كيف لو سمح للأشباح فقط بهذه الرحلة بأكملها لمجرد السخرية منهم؟ تقلبت في ذاكرتي قصص عن الأساطير والمذاهب الرهيبة. وفكرت كيف قامت الآلهة بمعاقبة «تانتالوس»، وفكرت بالمكان الذي كان مذكورا في سفر الرؤيا حيث يقول أن دخان الجحيم يرتفع للأبد في الافق بمشاهدة الأرواح المباركة. تذكرت كيف كان كوبر المسكين، يحلم أنه لم يكن بعد كل شيء محكوما عليه بالهلاك، ثم عرف في الحال أن الحلم كان كاذبا وعندها قال، «إنها السهام الحادة في جعبته «وما قاله الشبح ذو الملامح القاسية عن المطر كان صحيحا بشكل واضح.

t.me/qurssan

حتى أن انهمار قطرات الندى من فرع قد يؤدي إلى تمزيقي إلى قطع. لم أفكر في هذا من قبل. وكيف أكون غامرت ربما، بسهولة، بالاقتراب من رذاذ الشلال! لقد استيقظ بداخلي الشعور بالخطر الذي كان غائبا تماما منذ غادرت الحافلة. استيقظ بإلحاح حاد. ونظرت حولي على الأشجار، والزهور، والشلال المتكلم: فبدت كلها شريرة بشكل غير محتمل. اندفعت الحشرات اللامعة جيئة وذهابا. وفكرت أنه إذا طار أحداها نحو وجهي هل سيعبر من خلالي؟ وإذا استقر فوق رأسي، هل سيسحقني في الأرض؟ همس الرعب في أذني، «هذا المكان ليس مكانك.» ثم تذكرت الأسود كذلك.

و مع عدم وجود خطة واضحة جدا في ذهني، نهضت ثم بدأت في السير بعيدا عن النهر حيث تنمو الأشجار قريبا من بعضها. لم أكن قد اتخذت قراري الكامل بالعودة إلى الحافلة، لكني أردت تجنب الأماكن المفتوحة. إذا تمكنت فقط من العثور على أثر أو دليل على أنه من الممكن حقا لشبح أن يبقى ـ وأن الاختيار ليس إلا مجرد كوميديا قاسية ـ فلن أعود. في هذه الأثناء، واصلت السير، بحذر شديد، واستمررت في المراقبة الثاقبة.

خلال ما يقرب نصف ساعة كنت قد وصلت إلى بقعة أرض صغيرة واضحة بها بعض الشجيرات في الوسط. عندما توقفت، تساءلت عما إذا كنت أجرؤ على عبورها، ثم أدركت أنني لست بمفردي. فقد عبر شبح البقعة الواضحة بأسرع ما يمكن أن يكون فوق هذه التربة غير المستقرة، وهو يتلفت كما لو أنه ملاحق. ثم رأيت أنها كانت امراة ترتدي ملابس جيدة ـ اعتقدت ذلك لكن

t.me/qurssan

ظلال الملابس المبهرجة بدت شاحبة في ضوء الصباح، صنعت لتناسب الوجود في الأدغال. غير أنها لم يكن بمقدورها الدخول بالفعل بينها ـ فالأغصان والأوراق كانت شديدة الصعوبة ـ لكنها ضغطت نفسها بالقرب منها قدر الإمكان.

كان يبدو أن الشبح تعتقد أنها مخفية. بعد لحظات سمعت صوت لقدمين، ثم ظهر أحد الاشخاص النورانيين في الأفق: يستطيع المرء ملاحظة الأصوات لأننا الأشباح لا نحدث أي ضجيج عندما نسير.

ـ «ابتعد! «صرخت الشبح. «اذهب بعيداً ألا ترى أنني أريد أن أكون وحيدة؟»

ـ «لكنك بحاجة إلى مساعدة «قال المجسد.

ـ قالت الشبح «إذا كان لا يزال لديك بعض شعور بالتهذيب، سوف تبتعد. لا أريد المساعدة. أريد أن أبقى بمفردي. اذهب بعيداً. أنت تعلم أنني لا يمكنني السير بسرعة كافية فوق هذه المسامير الرهيبة لأبتعد عنك. إنه لشيء بغيض منك أن تستفيد من هذا الأمر.

ـ «أوه، هذا! «قال الروح.

ـ «سوف يحدث هذا قريباً. لكنك تذهبين إلى الاتجاه الخاطئ. إنه بالخلف هناك ـ إلى الجبال ـ هو ما تحتاجين الذهاب إليه. يمكنك الاعتماد عليّ طوال الطريق. لا يمكنني حملك، لكنك لا تحتاجين أي وزن على قدميك: وسوف يكون الألم أقل في كل خطوة.»

ـ «أنا لست خائفة من التعرض للأذى، أنت تعرف ذلك.»

ـ «ثم ما المسألة؟، ألا تفهم أي شيء؟ هل تفترض حقا أنني سأذهب إلى هناك هكذا بين كل هؤلاء الناس؟»

t.me/qurssan

ـ «لكن لم لا؟»

ـ «لم أكن لآتي على الإطلاق لو أعلم أنكم جميعا سوف ترتدون ملابس مثل تلك.»

ـ «يا صديقتي، أتريين، أنا لا أرتدي ملابس على الإطلاق.»

ـ «لم اقصد ذلك. اذهب بعيداً»

ـ «لكن ألا يمكن حتى أن تخبريني؟»

ـ «إذا كنت لا تفهم، لن يكون هناك فائدة من الشرح لك. كيف يمكنني الخروج هكذا بين الكثير من الناس أصحاب أجساد مجسمة حقيقية؟ إنه لأسوأ بكثير من الخروج عارية كما لو كان الأمر على الأرض. وجعل الجميع يحدقون بي.»

ـ «أوه، فهمت. ولكننا كنا جميعا أشباح عندما وصلنا إلى هنا، كما تعلمين. وهذا ما سوف يلبس فيما بعد. عليك أن تخرجي فقط وتحاولين.»

ـ «لكنهم سوف يرونني.»

ـ «ما الذي يهم إذا رأوك؟»

ـ «أفضل الموت على ذلك.»

ـ «لكنك ميتة بالفعل. ليس هناك فائدة من محاولة العودة لذلك.»

أصدرت الشبح صوتاً مابين التنهد والزمجرة.» أتمنى لو أنني لم أولد أبدا»

t.me/qurssan

ـ «ما الذي ولدنا من أجله؟»

ـ «ولدنا من أجل السعادة اللا نهائية» قال الروح. «يمكنك الخروج إليها في أي لحظة...»

ـ «لكن، أنا أقول لك أنهم سيروني.»

ـ «إنها مجرد ساعة ومن ثم لن تهتمي. يوم واحد. وسوف تضحكين على الأمر. ألا تتذكرين عندما كنت على الأرض كانت ثمة أشياء ساخنة جدا للدرجة التي لا يمكنك الإمساك بها بأصابعك ولكن كان يمكنك أن تشربيها اليس كذلك؟»الخزي مثل هذا الأمر، إذا تقبلتيه ـ إذا كنت ستشربين الكأس حتى نهايته سوف تجدينه مغذيا: ولكن لو حاولت فعل شيء آخر معه سيحرقك.»

ـ «أنت تعني حقا»...» قالت الشبح، ثم توقفت مؤقتا.

كان تشوقي قد أرهقني بشدة. وشعرت أن مصيري قد علق على ردها، للدرجة التي كان يمكن أن أركع عند قدميها وأتوسل لها أن تستسلم.

ـ «نعم، «قال الروح.» تعالي وجربي»

بالتأكيد أعتقدت تقريبا أن الشبح اقتنعت بالأمر. لكنها تحركت ثم صرخت فجأة: «كلا، لا أستطيع. أقول لك إنني لا أستطيع. «إنني للحظة، وبينما كنت تتحدث، فكرت أنه يمكنني تقريبا... لكن عندما تعلق الأمر بهذه النقطة... حسنا، لا يحق لك أن تطلب مني القيام بشيء من هذا القبيل. إنه أمر مقزز، لا يجب أن أسامح نفسي أبدا إذا فعلته. أبدا، أبدا أبدا. هذا ليس عدلا، كان يجب أن يحذرونا. لم نكن لنحضر. والآن، من فضلك، رجاء اذهب بعيدا!».

t.me/qurssan

ـ «يا صديقة،» قال الروح.» هل يمكن لك، للحظة واحدة، أن تفكري بشيء ما غير نفسك؟»

ـ «لقد أجبتك بالفعل «قالت الشبح، ببرود ولكنها كانت لا تزال دامعة.

ـ قال الروح» إذا تبقى شيء واحد فقط،»

ولدهشتي الكبيرة، وضع بوقا على شفتيه ثم نفخ فيه. وضعت يدي على أذني. وبدأت الأرض وكأنها ترتعد: ارتجفت الغابة كلها واهتزت مع الصوت. أفترض أنه كان يجب أن يكون هناك توقف بعد ذلك (على الرغم من أنه بدا أنه لا يوجد) قبل أن أسمع صوت الحوافر البعيدة في البداية، ولكنها بالفعل كانت قد اقتربت قبل أن أتعرف عليها، وسرعان ما اقتربت حتى إنني بدأت في البحث حولي عن مكان آمن أختبئ به. وقبل أن أجد واحدا كان الخطر يحيط بنا جميعا.

جاء قطيع من أحادي القرن يهدر من خلال الفواصل: كان أصغر واحد منهم بارتفاع سبعة وعشرين ذراعا ولونه أبيض كما البجع، وبعيون وأنوف حمراء لامعة وقرون زرقاء تتوهج. لا أزال أتذكر الضجيج الصاخب للعشب الرطب الناعم وتكسر الشجيرات أسفل حوافرها، وأصوات صهيلها؛ وكيف كانت تقف فوق قوائمها الخلفية وتخفض رؤوسها المقرنة كأنها في معركة ساخرة. حتى في ذلك الحين تساءلت عن كيف ستكون المعركة الحقيقية لهذه البروفة. ثم سمعت الشبح تصرخ، وأعتقد أنها فرت بعيداً من الأحراش... ربما في اتجاه الروح، لكنني لم أعرف. لأن أعصابي انهارت وهربت، دون أن أهتم ولو للحظة، بذلك العذاب أسفل قدمي، ودون أن أجرؤ ولو لمرة واحدة على التوقف. لذلك لم أشاهد نهاية تلك المقابلة.

t.me/qurssan

«9»

ـ «إلى أين تذهب؟» قال صوت بلكنة أسكوتلاندية قوية. فتوقفت ونظرت. كان صوت أحادي القرن قد ابتعد منذ زمن وحملتني رحلتي إلى منطقة ريفية مفتوحة. رأيت الجبال التي يكمن فيها شروق الشمس الذي لا يتغير، وفي المقدمة صنوبرتان أو ثلاث فوق تلة صغيرة، مع بعض الصخور الكبيرة الناعمة، ونبتة الهيذر. فوق إحدى الصخور التي جلس فوقها رجل طويل القامة، عملاق تقريبا، له لحية مسترسلة. لم أكن قد نظرت من قبل في وجه أحد الأشخاص المجسمين وعندما نظرت الآن اكتشفت أن المرء يراهم بنوع من الرؤية المزدوجة. كان يوجد أمامي هنا إله متوج ومنير، بروح لا عمر لها، تثقل روحي كحمل من الذهب الخالص: ومع ذلك، وفي اللحظة ذاتها، كان أمامي أيضا رجل نشرة أخبار الطقس يبدو مهزوما ومسناً، شخص ربما كان يعمل راعيا مثلما يعتقد السائحين لأنه بسيط وصريح، ويظنه جيرانه حكيما يفكر بعمق للسبب ذاته. كانت عيناه تنظران تلك النظرة البعيدة لشخص عاش طويلا في أماكن مفتوحة ومعزولة؛ وبطريقة ما تكهنت بأن التجاعيد التي لا بد أنها كانت في وجهه قبل إعادة بعثه، قد زالت عندما حل عليه الخلود.

ـ «أنا ـ أنا لا أعرف تماما»، قلتُ.

t.me/qurssan

ـ «يمكنك أن تجلس وتتحدث معي، إذا»، قال مفسحا لي مكانا بجانبه فوق الحجر.

ـ «أنا لا أعرفك سيدي،» قلت، وأنا آخذ مقعدي إلى جانبه.

ـ أجاب «اسمي هو جورج، جورج ماكدونالد.»

ـ «أوه» صحت. «إذا يمكنك أن تخبرني! على الأقل أنت لن تخدعني».

بعد ذلك، افترض أن تعبيراتي هذه عن الثقة كانت تحتاج مني إلى بعض التفسير، لذا حاولت مرتجفا، أن أخبر هذا الرجل بكل ما فعلته كتاباته بي. حاولت أن أشرح له كيف كنت أقضي فترة ما بعد الظهيرة في محطة ليرهيد، وكيف اشتريت أول نسخة من كتابه فانتاستيس «Phantastes» (كنت في حوالي السادسة عشر من عمري) الذي أخبرني عن أول مرة نظرت فيها بياترس إلى دانتي: وأن هنا كانت بداية الحياة. بدأت أعترف له كم من الوقت تأخرت حياتي في منطقة الخيال: كيف ببطء وبصورة مضطربة جئت للاعتراف أن مسيحيته التي كان يدعو لها في كتاباته كانت أكثر من مجرد صدفة عرضية، كم حاولت جاهدا، أن أغمض عيني عن الاسم الحقيقي للجودة التي قابلتني في كتبه، ألا وهو القداسة.

وضع يده على يدي وأوقفني ثم قال:

ـ «يا بني، إن حبك ـ كل أنواع حبك ـ هو قيمة لا يمكن وصفها بالنسبة لي. لكنها قد توفر وقتاً ثمينا» (هنا بدا فجأة اسكوتلنديا جداً)، «لقد أبلغتك أنني على دراية بالفعل بهذه السيرة الذاتية، في الحقيقة لقد لاحظت أن ذاكرتك تضللك في واحدة أو اثنتين من التفاصيل».

t.me/qurssan

ـ قلت، «أوه!» ثم وقفت ثابتاً.

ـ قال معلمي «لقد بدأت، لنتكلم عن شيء أكثر فائدة.»

ـ قلت، «سيدي»، «لقد نسيت الأمر تقريبا وليس لدي أي قلق حول الإجابة الآن على الرغم من أن لدي حب استطلاع. إنه أمر آخر عن الأشباح هو ما أريد إجابة عليه، هل ظل أي واحد منهم هنا؟ هل يمكن لأحدهم البقاء؟ هل هناك أي اختيار حقيقي لهم؟ كيف يأتون إلى هنا؟

ـ «هل سمعت أبدا عن الإنعاش؟ رجل بمزاياك ربما يكون قد قرأ عنه في شعر برودينتيوس[1]، ناهيك عن جيريمي تايلور».[2]

ـ «الاسم مألوف لدي يا سيدي، لكنني أخشى أنني نسيت ما يعنيه.»

ـ «إنه يعني أن الملعونين لديهم نزهات ـ عطلات ـ أتفهم.»

ـ «رحلات لهذه البلد؟»

ـ «بالنسبة لأُولَئِكَ الذين يذهبون إليها. بالطبع معظم المخلوقات السخيفة لا تقبل. إنهم يفضلون أخذ رحلات للعودة إلى الأرض. يذهبون ويمارسون الخدع على النساء المساكين اللائي يدعين الوسيطات. إنهم يذهبون ويحاولون تأكيد امتلاكهم لبعض بيوت كانت مملوكة لهم في السابق: ثم عندها تحصل على ما يسمى

---

(1). Prudentius ـ أوريليوس برودينتوس كليمنس شاعر روماني مسيحي، ولد في مقاطعة تاراكونينسيس الرومانية في عام 348. ومن المحتمل أنه مات في شبه الجزيرة الأيبيرية في وقت ما بعدعام 405، وربما حوالي 413. (المترجمة).

(2) Jeremy Taylr جيريمي تايلوركان (1613 ـ 1667) رجل دين في كنيسة انجلترا الذي حقق شهرة كمؤلف خلال تواجده في محمية أوليفر كرومويل

t.me/qurssan

«المؤرقون». أو يذهبون للتجسس على أطفالهم. أو الأشباح الأدبية التي تعلق حول المكتبات العامة لترى ما إذا كان هناك شخص لا يزال يقرأ كتبهم.»

ـ «ولكن إذا حضروا إلى هنا هل يمكنهم البقاء حقا؟»

ـ «أمم، لابد وأنك سمعت أن الإمبراطور تراجان فعل ذلك؟»

ـ «لكنني لا أفهم. هل الحكم ليس نهائيا؟ هل حقا ثمة طريقة للخروج من الجحيم إلى الجنة؟»

ـ «هذا يعتمد على الطريقة التي تستخدم بها الكلمات. إذا تركوا هذه البلدة الرمادية خلفهم لن يكون الجحيم. إنها المطهر. وربما من الأفضل لك ألا تسمي هذه البلد جنة. ليست الجنة العميقة، أتفهم.» (وهنا ابتسم لي). «يمكنك أن تسميها وادي ظل الحياة. وبالنسبة لأُولئِكَ الذين يبقون هنا سوف تكون الجنة منذ البدء. ويمكنك أن تسمي هذه الشوارع المحزنة في البلدة هناك، بوادي ظلال الموت: لكن بالنسبة لأُولئِكَ الذين يبقون هناك ستكون الجحيم حتى منذ البداية. «أعتقد أنه رأى أنني كنت أبدو حائراً، لأنه تحدث الآن مرة أخرى.

ـ «بني» قال، «لا يمكنك في حالتك الحالية أن تدرك معنى الخلود: فعندما نظر أنودوس[1] عبر باب اللا زمن، لم يعد أي رسالة إلى الخلف، لكن يمكنك أن تجد بعض التشابه إذا قلت إن الخير والشر على حد سواء، عندما يكونان كاملين، يصبح في الإمكان أستعادتهما.

---

(1) Anodos هو الشخصية المحورية في رواية جورج ماكدونالد Phantastes

t.me/qurssan

ليس فقط في هذا الوادي، بل كل هذا الدرب الأرضي سيكون جنة لأُولئِكَ الذين تم إنقاذهم. ليس فقط الشفق في تلك البلدة، بل كل حياتهم فوق الأرض أيضا، سترى من قبل الملعون أنها كانت جحيما. هذا ما يسيء القانون فهمه. إنهم يقولون عن بعض المعاناة المؤقتة: «لا يمكن لأي نعمة مستقبلية أن تعوضها»، ولا يعرفون أن الجنة، بمجرد دخولها، سوف تعمل إلى الوراء وتحول حتى هذا العذاب إلى مجد. بعض الخطائين يقولون عن اللذة «دعني أفعلها وسأتحمل العواقب»: ثم يحلمون قليلا كيف سيرجعون إلى الوراء ويعودون إلى ماضيهم ويمحون تلوث متعة الخطيئة. كلا العمليتان تبدآن حتى قبل الموت. يبدأ ماضي الإنسان الطيب في التغير حتى تأخذ خطاياه الغفران ويتذكر الأحزان التي تأخذ من جودة الجنة: ماضي الرجل السيئ يتطابق بالفعل مع سيئاته ويمتلئ بالكآبة فقط.

ولهذا السبب في نهاية كل شيء عندما تشرق الشمس هنا ويتحول الشفق إلى السواد هناك، سوف يقول المباركون، «إننا لم نحيا مطلقا إلا في الجنة، وسيقول الضائعون، لقد كنا دائما في الجحيم» وكلاهما عندها يقول الحقيقة.»

ـ «أليس هذا شديد الصعوبة ياسيدي؟ أعني، أهذا هو المعنى الحقيقي لما سيقولونه».

ـ «في اللغة الفعلية للضائعين، ستكون الكلمات صعبة، لا شك في ذلك. سيقول شخص أنه خدم بلده سواء كان الأمر صوابا أو خطأ وسيقول آخر إنه ضحى بكل شيء من أجل فنه، والبعض الأخر لن يأخذوا به، والبعض سيحمد اللّه: إنهم اعتادوا دوما على

t.me/qurssan

الاعتناء بأنفسهم، وكلهم جميعا تقريباً، على الأقل كانوا صادقين مع أنفسهم.»

ـ «وماذا عن الذين تم إنقاذهم؟»

«آه، المنقذون... ما يحدث لهم أفضل وصف له هو أنه عكس السراب. ما يبدو أنهم عندما يدخلون إلي وادي التعاسة يتحول إلى بئر عندما ينظرون إلى الخلف؛ فقط عندما ترى الخبرة الحالية أن الصحاري الممتلئة بالملح التي سجلتها بأمانة الذاكرة، هي عبارة عن برك مملوءة بالماء.»

ـ «إذا فهؤلاء الناس كانوا على حق عندما قالوا أن النعيم والجحيم ليسا إلا حالة ذهنية؟»

ـ قال بصرامة، «اصمت»، «لا تكن مجدفاً، الجحيم حالة ذهنية ـ أنت لم تقل كلمة أصدق. وكل حالة ذهنية، تترك لذاتها، كل انغلاق للمخلوق داخل زنزانة عقله هو، في النهاية، جحيم. لكن النعيم ليس حالة ذهنية. النعيم هو الحقيقة ذاتها. كل ما هو حقيقي تماما هو سماوي. لهذا فإن كل ما يمكن أن يتزعزع سيحدث له ذلك ولن يبقى فقط غير الثابت».

ـ «لكن هل ثمة اختيار حقيقي بعد الموت؟» أصدقائي الكاثوليك الرومان سيفاجؤون، لأن الأرواح بالنسبة لهم التي في المطهر هي أرواح تم إنقاذها بالفعل. وأصدقائي البروتستانت لن يكونوا بأفضل حال، لأنهم يقولون أن الشجرة تستلقى حيث تسقط.»

ـ «وكلاهما على حق، ربما. لا تفسد عقلك بمثل هذه الأسئلة. لا

t.me/qurssan

يمكنك أن تفهم تماما علاقات الاختيار والوقت حتى تصبح خارج كل منهما. وأنت لم تحضر إلى هنا لدراسة مثل هذا الفضول. ما يهمك هو طبيعة الاختيار ذاته: وهذا ما سيمكنك مشاهدته عندما يفعلونه.»

ـ قلت «حسنا، سيدي،، هذا أيضا يحتاج إلى تفسير. ما الذي تختاره هذه الأرواح التي تعود (لم أر بعد أشخاصا آخرين)؟ وكيف يمكنهم الاختيار؟»

ـ «ميلتون كان على حق،» قال معلمي.

ـ «يمكن التعبير عن اختيار كل روح ضائعة في تلك الكلمات التي قالها «الأفضل أن تحكم في الجحيم بدلا من أن تكون خادماً في الجنة» هناك دائما شيء يصرون على الاحتفاظ به، حتى على حساب بؤسهم، هناك دائما شيء يفضلون أن يفرحوا به ـ هذا هو الواقع. ترى ذلك بسهولة كافية في تصرف طفل مدلل يفضل أن يحرم من لعبته وعشائه على أن يقول «آسف» ويتعامل بلطف. تسميه حينها العبوس، أو الكآبة لكنه في حياة الكبار له مائة اسم رائع ـ مثل غضب آخيل، وأوهام عظمة كوريولانوس، وثأر الجدارة الجريح، واحترام الذات، والعظمة المأساوية، والكبرياء اللائق.»

ـ «إذا، سيدي، لا أحد ضاع عبر خصال الرذيلة؟ أو عبر الشهوانية المجردة؟»

ـ «بلا شك، البعض فعل. الحسيون، سأسمح لك، أن تبدأ من خلال السعي إلى متعة حقيقية، واحدة صغيرة. إن خطيئته هي الأقل. ولكن بمرور الوقت، على الرغم من أن المتعة تصبح أقل وأقل

t.me/qurssan

والشهوة تتوحش وتتوحش، وعلى الرغم من أن المتعة لا يمكن أن تأتي بهذه الطريقة، إلا أنه يفضل أن يسعد بملامسة شهوة مجردة لا تقاوم، على أن تؤخذ منه. سيقاتل حتى الموت للاحتفاظ بها. فهو يود أن يكون قادرا على الخدش: ولكن حتى عندما لا يستطيع أن يخدش أكثر من ذلك، فإنه سيفضل الشهوة عن لا شيء.

كان صامتا لبضع دقائق، ثم بدأ ثانية. «ستفهم أن هناك أشكالا لا تعد ولا تحصى من هذا الاختيار. في بعض الأحيان أشكال بالكاد كان يفكر بها المرء عندما كان على وجه الأرض. ثمة مخلوقات جاءت هنا ليس من وقت بعيد ثم عادت مثل ـ سير أرشيبالد ـ كما كان يلقب نفسه. في حياته الأرضية لم يكن مهتما بشيء عدا البقاء. لقد كتب رفا مليئا بالكتب حول هذا الموضوع. بدأ به من الناحية الفلسفية ولكن في نهاية الأمر اتخذ بحثه منحى نفسيا. ثم تحول الأمر لأن تصبح وظيفته الوحيدة هي التجريب، والاختبارات، وإلقاء المحاضرات، وإدارة مجلة. والسفر أيضا: باحثا وراء القصص الغريبة بين رهبان التبت والشروع في تكوين أخوية في وسط أفريقيا. براهين ومزيد من البراهين ومن ثم مزيد من الأدلة مرة أخرى، كان ذلك هو كل ما يريد. لقد كان الأمر يدفعه إلى الجنون إذا وجد أي شخص يهتم بأي شيء آخر. كما أنه واجه المتاعب أثناء إحدى الحروب بسبب تجوله في البلاد صعوداً وهبوطا ليطلب منهم ألا يحاربوا لأنه إهدار للأموال التي يجب أن ينفقوها على الأبحاث. حسنا، في الوقت المناسب، مات المخلوق المسكين وحضر إلى هنا: ولم تكن هناك قوة في الكون يمكن أن تمنعه من البقاء والسير إلى الجبال. ولكن أتعتقد

t.me/qurssan

أن ذلك أفاده؟ هذه البلد لم تكن ذات فائدة له على الإطلاق. كل واحد هنا «نجا «بالفعل. لا أحد أبدى أقل اهتمام بالسؤال. لم يكن ثمة شيء لإثباته. لقد ضاعت مهنته. وبالطبع لو أنه فقط اعترف بأنه كان مخطئا في فهم وسائل النهاية وسخر من نفسه كان يمكنه أن يبدأ من جديد مثل طفل واختبر الفرح. لكنه لم يفعل ذلك. لم يهتم البتة بالفرح. في النهاية رحل بعيداً».

ـ «يالروعة! «قلت أنا.

ـ «هل تعتقد ذلك؟» قال المعلم وهو ينظر إلي بنظرة ثاقبة. «إنه أقرب إلى مثل ما تفكر أنت به. لقد كان هناك رجال من قبل ممن اهتموا بإثبات وجود اللّه، دون الاهتمام باللّه ذاته. وكما لو أن الرب العظيم ليس لديه ما يمكن أن يفعله سوى وجوده! لقد كان هناك البعض ممن كانوا مشغولين بنشر المسيحية للدرجة التي لم يفكروا فيها أبدا بالمسيح!

إنك ترى ذلك في عدة مسائل صغيرة. على سبيل المثال، ألم تعرف أبدا شخصا محباً للكتب مع انشغاله بالحصول على الطبعات الأولى منها ونسخها الموقعة فقد القدرة على قراءتها؟ أو شخص يقوم بتنظيم أمور الخير والتبرعات فقد كل حبه للفقراء؟ إنه أصغر الفخاخ.»

مدفوعا برغبة في تغير الحديث، سألت بما أن الناس المجسمين مليئون بالحب، لما لا يذهبون إلى الجحيم لإنقاذ الأشباح. لماذا فقط يكتفون ببساطة بلقائهم عند السهل؟ كان يتوقع منهم نضال أكبر من أجل الخير.

t.me/qurssan

ـ قال» سوف تفهم ذلك بشكل أفضل، ربما قبل أن تذهب، في غضون ذلك، يجب أن أخبرك أنهم ذهبوا من أجل الأشباح إلى أبعد مما تستطيع أنت إدراكه. كل واحد منا يعيش فقط من أجل رحلة أبعد وأبعد إلى الجبال. كل واحد منا قطع هذه الرحلة وأعاد قياس المسافات التي لا يمكن قياسها حتى يتمكن من النزول اليوم على أمل أن يحصل على فرصة لإنقاذ بعض الأشباح. بالطبع إنه شيء يسعدنا القيام به، ولكن لا يمكنك أن تلومنا على ذلك. ولن يكون من الفائدة أن نحقق المزيد حتى لو كان ذلك ممكنا. الشخص العاقل لا يمكن أن يكون مفيدا لو جعل من نفسه مجنونا لمساعدة المجانين.»

ـ «لكن ماذا عن الأشباح المساكين الذين لم يركبوا الحافلة على الإطلاق؟»

ـ «كل من تمنى ذلك حصل عليه. لا تخف أبدا. في النهاية ثمة نوعان من الناس: هؤلاء الذين يقولون للّه سوف تعمل مشيئتك «وأولئك الذين يقول اللّه لهم في النهاية «سوف تنظرون». كل ما في الجحيم، يتم اختياره. بدون هذا الاختيار الذاتي لن يكون هناك جهنم. ليس هناك روح جادة ومستمرة في رغبتها بالفرح ستفوته. أولئك الذين يطلبونه سيجدونه. وأولئك الذين يقرعون على بابه سيفتح لهم.»

عند هذه اللحظة قاطعنا فجأة صوت رقيق لشبح يتحدث بسرعة مذهلة. عندما نظرنا خلفنا رأينا المخلوق. كان يخاطب واحد من الناس المجسمين وكان يفعل ذلك بانهماك شديد حتى أنه لم يلحظ وجودنا.

t.me/qurssan

بين الحين والآخر كان الروح المجسم يحاول أن يتكلم ولكن دون جدوى. كان حديث الشبح والكلمات تخرج غير مفهومه؟

ـ «أوه، يا عزيزي، لقد مررت بمثل هذا الوقت المرعب، لا أعرف مطلقا كيف أصبحت هنا. لقد كانت قادمة مع ألينور ستون وكنا قد رتبنا لكل شيء، وسنلتقي في زاوية من شارع سينك؛ لقد جعلت الأمر سهلا تماما لأنني كنت أعرف ما كنت عليه، وأخبرتها ذات مرة أنني لن ألتقي بها عند منزل تلك المرأة المروعة مارجوري بانكس، ليس بعد الطريقة التي عاملتني بها... كان ذلك واحدا من الأشياء المروعة التي حدثت لي؛ لقد كنت على وشك أن أقول لك لأنني على يقين أنك ستخبرني أنني تصرفت بطريقة صحيحة.

ـ لا انتظر لحظة، عزيزي، حتى أخبرك لقد حاولت العيش معها عندما جئت هنا لأول مرة، وكان كل شيء معدا، كان عليها أن تطهي وكنت أعتني بالمنزل وكنت سأشعر بالراحة بعد كل ما مررت به ولكنها تحولت وتغيرت بشدة، صارت أنانية تماما، وليس لديها أي تعاطف تجاه أي أحد سوى نفسها ـ وكما قلت لها ذات مرة ـ أعتقد أنه يحق لي بعض الاهتمام لأنك على الأقل عشت وقتك، ولكنني لا يجب على أن أبقى هنا لسنوات وسنوات، «لكن بالطبع لقد نسيت أنك لا تعرف لقد تم قتلي، هكذا ببساطة تم قتلي، يا عزيزي. هذا الرجل لم يكن عليه أن يجري العملية أبدا، كان يجب أن أكون على قيد الحياة حتى اليوم لكنهم ببساطة أماتوني من الجوع في دار الرعاية المريع ولم يقترب أحد مني و...»

t.me/qurssan

توقفت نغمة الأنين الساخرة بخروج المتحدثة من المشهد بصحبة الروح، الذي من جانبه، كان لا يزال يتوهج بالصبر على المتحدثة.

ـ «ما الذي يزعجك يابني؟» سألني معلمي.

ـ قلت «أنا منزعج ياسيدي، لأن هذه المخلوقة التعيسة لا تبدو لي حتى من نوع الأرواح التي يجب أن تكون في خطر من اللعنة. إنها لا تبدو شريرة حتى: إنها فقط امرأة عجوز سخيفة ومثيرة للغضب، اعتادت على التذمر، ويشعر المرء أن قليلا من العطف والراحة والتغير من شأنه أن يضعها على المسار الصحيح.»

ـ «هذا هو ما كانت عليه في الماضي. ربما هذا هو الذي مازالت عليه. إذا كان الأمر كذلك، بالتأكيد ستشفى. لكن السؤال بأكمله هو إذا ما كانت متذمرة الآن.»

ـ «اعتقد أنه لا يجب على أن أشك في ذلك!»

ـ «نعم، لكنك أسأت فهمي. السؤال هو إذا ما كانت هي المتذمرة أو التذمر ذاته. إذا كان ثمة امرأة حقيقية ـ حتى أقل أثر لها ـ لا تزال هناك داخل هذا التذمر، سوف يمكن إعادتها إلى الحياة مرة أخرى. إذا كانت ثمة شرارة واحدة تحت كل هذا الرماد، فسوف ننفخ فيها حتى تصير كومة حمراء واضحة. لكن اذا لم يكن هناك شيء غير رماد لن نذهب وننفخ فيه ليعمي أعيننا إلى الأبد. بل سيتوجب علينا إزاحته.»

ـ «ولكن كيف يكون هناك تذمر دون متذمر؟»

ـ «إن الصعوبة الكاملة في فهم الجحيم هي أن الشيء الذي يجب

t.me/qurssan

فهمه لا يكاد يكون شيئا. ولكنك سوف يكون لديك تجارب... أن الأمر يبدأ بمزاج متذمر، وتظل نفسك مستقلة عنه: ربما تنتقده، ثم ربما في ساعة مظلمة، تبدأ نفسك في احتضان ذلك المزاج والحفاظ على بقائه. يمكنك أن تتوب وتخرج منه ثانية. ولكن قد يأتي يوم لا يمكنك فعل ذلك بعدها. بعد ذلك لن يكون هناك أي شيء قد بقي منك لينتقد المزاج، ولا حتى للاستمتاع به، ولكن فقط التذمر ذاته الذي يستمر للأبد مثل إله. لكن هيا! أنت هنا للمشاهدة والاستماع. استند على ذراعي وسنذهب في نزهة صغيرة.

ـ «وأطعته. إن الاتكاء على ذراع شخص أكبر مني سنا هو تجربة أعادتني إلى طفولتي، وبهذا الدعم منه وجدت السير محتملا: لدرجة أنني في الواقع، شعرت بالرضاء لأن قدمي كانتا قد أصبحتا بالفعل أكثر صلابة حتى أقنعتني نظرة على الأشكال الشفافة البائسة التي تعاني السير أنني أدين بكل هذه السلاسة لذراع المعلم القوي.

ربما بسبب حضوره بدت حواسي الأخرى أيضا سريعة. لقد لاحظت وجود روائح في الهواء حتى هذه اللحظة كانت ضائعة مني. كما أن البلد تحلت بجمال جديد. كان هناك مياه في كل مكان وظهور صغيرة ترتجف في النسيم الباكر. بعيداً في الغابة لمحنا سريعا غزلانا تعبر، وفجأة أتى نمر أملس يزمجر بجانب صاحبي. رأينا أيضا العديد من الأشباح. أعتقد أن أكثرها إثارة للشفقة كان شبحا نسائيا، مشكلتها على العكس من مشكلة الشبح الأخرى؛ السيدة التي خافت من أحادي القرن.

بدت هذه غير مدركة تماما لمظهرها الشبحي. حاول أكثر من

t.me/qurssan

شخص من المجسمين التحدث إليها، وفي البداية كنت حائراً في فهم سلوكها تجاههم. بدأ أنها تتلوى كلها ماعدا وجهها غير المرئي وجسدها الدخاني يتثنى بطريقة غير ذات معنى. في النهاية وصلت إلى استنتاج لا يصدق، لقد بدا وأنها تفترض أنها ما زالت قادرة على جذبهم وتحاول القيام بذلك.

كانت شيئا قد أصبح غير قادر على تصور المحادثة إلا كوسيلة لتحقيق هذه الغاية. كانت كما لو أنها جثة سائلة ومتحللة بالفعل قد نهضت من التابوت، ولطخت لثتها بأحمر شفاه، وتحاول المغازلة، فإن النتيجة لن تكون مروعة أكثر من هذا.

في النهاية تمتمت «مخلوقات غبية «ثم عادت إلى الحافلة. وهو ما جعلني أنتبه لأسال معلمي عن ما يعتقد عن مسألة أحادي القرن.

ـ قال «ربما نجح، سوف تتكهن بأنه قصد أن يخيفها؛ ليس الخوف ذاته ما يجعلها شبح أقل. ولكنها إذا فكرت للحظة بعيداً عن التفكير في نفسها، ربما كانت في تلك اللحظة لديها فرصة ورأيتهم ينقذونها.»

ـ لقد التقينا العديد من الأشباح التي جاءت بالقرب من الجنة فقط من أجل إخبار الكائنات السماوية عن الجحيم. في الواقع، كان ذلك واحدا من أكثر الأنواع شيوعا. أما الآخرون الذين ربما كانوا (مثلي) معلمين نوعا ما فقد أرادوا في الواقع إلقاء محاضرات حولها: لقد أحضروا دفاتر ضخمة مليئة بالإحصاءات، والخرائط، و(واحد منهم) أحضر فانوساً سحرياً.

البعض رغب في سرد الحكايات عن الخطاه من ذوي السمعة

t.me/qurssan

السيئة من جميع الأعمار الذين التقوا بهم في الأسفل. ولكن في الغالب بدا وكأنهم يعتقدون أن مجرد كونهم كشفوا الكثير عن أنفسهم فإن الكثير من البؤس أعطاهم نوعا ما من التفوق. كانوا يصرخون قائلين «إنك تعيش حياة محمية!»

«أنت لا تعرف الجانب القبيح. سنخبرك عنه. سنعطيك بعض الحقائق الصعبة»

كما لو أن صباغة الجنة بصور وألوان جهنمية كان هو الغرض الوحيد الذي جاؤوا من أجل تحقيقه. كلهم على حد سواء، بقدر ما استطعت أن أحكم من خلال استكشافي للعالم السفلي، كانوا غير موثوق بهم بالكامل، وكلهم تساووا في عدم الاهتمام بالبلد الذي وصلوا إليه. لقد صدوا كل المحاولات لتعليمهم، وعندما وجدوا أن أحداً هنا لا يستمع إليهم عادوا، واحد تلو الأخر، إلى الحافلة.

هذه الرغبة الفضولية لوصف الجحيم تحولت، على أيه حال، لأن تكون شكلا معتدلا لرغبة شائعة جدا بين الأشباح، الرغبة في توسيع حدود الجحيم، لإحضارها مجسدة إذا استطاعوا إلى الجنة. لقد كان هناك بعض الأشباح الغوغائية، الذين كانوا يجادلون بأصوات حادة رنانة الأرواح المباركة في التخلص من أغلالهم للهروب من سجنهم في السعادة، وهدم الجبال بأياديهم، والاستيلاء على الجنة «لصالحهم»: عرضت الجحيم تعاونها. وكان هناك تخطيط من الأشباح الذين طلبوا منهم سد النهر وقطع الأشجار وقتل الحيوانات وبناء سكة حديدية جبلية، والتخلص من العشب الرهيب واستبدال الطحالب ونبات الهيذر بالإسفلت.

t.me/qurssan

كما كان هناك أشباح مادية والتي أبلغت الخالدين بأنهم كانوا مخدوعين: بأنه لم تكن هناك حياة بعد الموت، وهذا البلد كله كان مجرد هلوسة. كما كانت هناك أشباح، بسيطة وعادية: مجرد أشباح، واعية تماما لتحللها، والتي قبلت الدور التقليدي للشبح وبدا أنها تأمل في إخافة شخص ما. لم يكن لدي أي فكرة عن أن هذه الرغبة ممكنة. لكن المعلم ذكرني بأن متعة الإخافة ليست مجهولة على الأرض، وذكرني كذلك بأقوال تاسيتوس: «إنهم خائفون خشية أن يخافوا».

فعندما يتحول حطام النفس البشرية المتحللة إلى شبح وتدرك ـ أنا شخصيا أدركت ذلك ـ أن ما تحولت إليه هو ما يخشاه البشر جميعا، وهو أن تكون مجرد ظلا باردا بفناء كنيسة خلفي؛ فإن ذلك الشيء الفظيع الذي لا يمكن أن يرعب أحدا بطريقة ما يرعب آخرين. وأن من هرب من مصير كونه شبح لا يزال يخشى أشباح أخرى تخشى من ذلك الشبح نفسه. لأن الخوف من النفس هو الرعب الأخير.

ولكن ما يتجاوز كل ذلك، هو أنني رأيت أشباحا فظيعة أخرى لم يكن فيها أي أثر باق من الهيئة البشرية؛ وحوش قابلتها في الرحلة إلى محطة الباص ـ ربما كانت بالنسبة إليهم الألف ميل ـ والتي أتت إلى بلد ظل الحياة وقفزت فوق ذلك العشب المؤلم، فقط من أجل البصق والثرثرة في نشوة من الكراهية والحسد و (ماهو أكثر صعوبة في الفهم) ازدراؤهم للفرح.

لقد بدت الرحلة لهم ثمنا صغيرا يدفعونه مرة واحدة، مرة واحدة فقط، على مرأى من ذلك الفجر الأبدي، ليمكنهم من أن يخبروا

t.me/qurssan

المنافقين والمتأنقين ومغتصبي الحقوق والمتكبرين ومن «يملكون» رأيهم فيهم.

ـ «كيف على الإطلاق يأتي هؤلاء إلى هنا «سألت معلمي.

ـ قال «لقد رأيت هذا النوع من التحول، عندما تعتقد أن هؤلاء الأقل لعنة قد عادوا.

أولئك الذين يكرهون الصلاح يكونون في بعض الأحيان أقرب إلى أولئك الذين لا يعرفون شيئا عنه ويعتقدون أنهم يملكونه بالفعل.»

ـ ثم قال لي فجأة «اصمت الآن! «فقد كنا نقف بالقرب من بعض الشجيرات ورأينا خلفها أحد الأشخاص المجسمين ومعه شبح على ما يبدو أنه قد التقاه في تلك اللحظة. بدت ملامح الشبح مألوفة بشكل غامض، لكنني سرعان ما أدركت أن ما رأيت على الأرض لم يكن الرجل نفسه ولكن صور له في الصحف. لقد كان فنانا مشهورا.

ـ «الله!» قال الشبح، وهو يلقى بنظرة عابرة على المناظر الطبيعية.

ـ «اللّه ماذا؟» سأل الروح.

ـ «ماذا تقصد، اللّه ماذا؟ سأل الشبح.

ـ «في قوعد اللغة لدينا اللّه هو «اسم».

ـ «أوه، حسنا، كنت أعني فقط أن أقول يا إلهي، أو شيء من هذا القبيل، كنت أعني... حسنا، كل هذا. إنه..إنه.. يجب أن أرسم هذا».

ـ «لا ينبغي أن تنزعج بسبب ذلك في الوقت الحاضر إذا كنت في مكانك».

t.me/qurssan

ـ «انتظر هنا، ألن يكون مسموحا للواحد منا بالرسم؟»

ـ «الرؤية تأتي أولا.»

ـ «لكني نظرت، لقد رأيت ما أريد أن أفعله. يالله! أتمنى لو أنني أحضرت فرشاتي معي!»

ـ حرك الروح رأسه، فتناثر الضوء من شعره. ثم قال «هذا النوع من الأشياء ليس جيدا هنا.»

ـ «ماذا تعني؟»قال الشبح.

ـ «عندما كنت ترسم على الأرض ـ على الأقل في أيامك الأولى كان ذلك لأنك تلقيت لمحات من السماء في المشهد الأرضي. كان نجاح رسوماتك هو أنها مكنت الآخرين من رؤية هذه اللمحات أيضا. ولكن هنا أنت لديك الأشياء ذاتها. من هنا جاءت الرسالات. وليس هناك فائدة من أن تخبرنا عنها في هذا البلد، لأننا نراها بالفعل. في الحقيقة نحن نراها بشكل أفضل مما تراها أنت.»

ـ «إذن لن يكون هناك أي فائدة من الرسم هنا؟»

ـ «لا أقول ذلك. فعندما تصبح شخصاً (كل شيء على مايرام، كان علينا جميعا أن نفعل ذلك) سيكون هناك بعض الأشياء التي ستراها أفضل من أي شخص آخر. وهي أحد الأشياء التي سترغب في إخبارنا بها. لكن ليس بعد. في الوقت الحالي عملك هو أن تشاهد فقط. تعال وشاهد. إنه لا نهاية له. تعال وتغذ.

ـ «كانت هناك وقفة صغيرة. «سيكون ذلك ممتعا» قال الشبح في صوت متململ.

t.me/qurssan

ـ «تعال، إذن» قال الروح مقدما له ذراعه.

ـ «متى تعتقد أن بإمكاني البدء في الرسم «سأل الشبح.

ـ «انفجر الروح بالضحك قائلا «ألا ترى أنك لن ترسم على الإطلاق إذا كان هذا هو كل ما تفكر به»

ـ «ماذا تعني؟»سأل الشبح.

ـ «لماذا، لأنه إذا كنت مهتما بالبلد فقط من أجل أن ترسمها، فإنك لن تتعلم أبدا أن ترى البلد.»

ـ «ولكن هذا هو ما يهتم به أي فنان حقيقي في البلد»

ـ «لا، أنت تنسى» قال الروح.

ـ «أنت لم تكن هكذا في بدايتك. فالضوء نفسه كان حبك الأول: كنت تحب الطلاء كوسيلة لتحكي بها عن الضوء.»

ـ قال الشبح» أوه، هذا منذ زمن بعيد. المرء يكبر على ذلك. بالطبع، أنت لم تر أعمالي الأخيرة. يصبح المرء مهتما بالطلاء أكثر وأكثر من أجل مصلحته الخاصة.»

«المرء يفعل، في الواقع، لقد اضطررت إلى التعافي من ذلك. كان الأمر كله فخا. الحبر والأوتار والطلاء ضروريان هناك، لكنهم أيضا منشطات خطرة. كل شاعر وموسيقي وفنان ـ إلا من كان مباركا ـ يتحول عن حب تلك الأشياء التي يخبر عنها، إلى حب أن يحكي عن نفسه، حتى في الجحيم العميق، لا يهتمون باللّه على الإطلاق ولكن يهتمون فقط بما يحكون عنه. ولأنهم كما تعلم لا يتوقفون عن

t.me/qurssan

الاهتمام بالرسم، يغرقون هناك بالأسفل ويصبحون مهتمين بذواتهم الخاصة، ومن ثم لا يهتمون بشيء غير سمعتهم الخاصة.»

ـ «لا أعتقد أنني أعاني من الاضطراب بهذه الطريقة. «قال الشبح متصلبا.

ـ «هذا ممتاز،» قال الروح. لم يكن الكثير منا يصل إلى هذا الحد عندما جئنا هنا لأول مرة. ولكن إذا كان هناك أي من هذا التقيح متبقياً فسوف تشفى منه عندما تصل إلى النافورة.»

ـ «أي نافورة تلك؟»

ـ قال الروح «إنها بالجبال في العالي هناك، باردة جدا وصافية، تقع بين اثنين من التلال الخضراء. إنها مثل نهر ليثي، عندما تشرب منه تنسى للأبد كل ملكية لإعمالك الخاصة. وسيمكنك الاستمتاع بها كما لو كانت أعمال شخص آخر: بدون كبرياء وبدون تواضع زائد.»

ـ قال الشبح دون حماسة «سيكون هذا عظيما.»

ـ قال الروح: «حسنا، تعال»، ولبضع خطوات كان يساند ذلك الظل الذي بدأ يعرج في اتجاه الشرق.

ـ «بالطبع، قال الشبح، كما لو كان يتحدث إلى نفسه،» سيكون هناك دائما أشخاص مهمون يمكن مقابلتهم...»

ـ «سيكون الجميع مثيرا للاهتمام.»

ـ «أوه، نعم بالتأكيد. كنت أفكر في الناس الذين في نفس مجالنا. هل قابلت كلود؟ أو سيزان؟ أو...»

t.me/qurssan

ـ «عاجلا أم آجلا ستقابلهم ـ إذا كانوا هنا»

ـ «ولكن ألا تعلم؟»

ـ «حسنا، بالطبع لا. لقد كنت هنا منذ بضع سنوات فقط. كل الفرص كانت ضد مقابلتهم. كما تعلم هناك الكثير من الجيدين منا».

ـ لكن بالتأكيد في حالة وجود أشخاص مميزين ستسمع عنهم؟»

ـ «لكنهم ليسوا مميزين أكثر من أي شخص آخر. ألا تفهم؟ المجد يتدفق داخل كل واحد، وينسحب من كل واحد منا: مثل النور والمرايا. لكن النور هو المهم.»

ـ «هل تقصد أنه لا يوجد رجال مشهورون؟»

ـ «كلهم مشهورون، جميعهم معروفون، يتم ذكرهم، يتم التعرف عليهم من قبل العقل الوحيد الذي يمكن أن يعطي الحكم المثالي.»

ـ «بالطبع، بهذا المعنى...» قال الشبح.

ـ «لا تتوقف»، قال الشبح، لجعله يستمر في قيادته إلى الأمام.

ـ «يجب على المرء أن يكون راضيا عن سمعته بين الأجيال القادمة، «قال الشبح.

ـ «صديقي، «قال الروح. «ألا تعلم؟»

ـ «أعلم ماذا؟»

ـ «أنت وأنا نسينا بالفعل على الأرض؟»

ـ «ماذا؟ ماهذا؟»هتف الشبح، ثم فك ذراعه من ذراع الروح.

t.me/qurssan

ـ «هل تقصد أن هؤلاء الملاعين أدعياء الإقليمية الجديدة قد ربحوا بالفعل؟»

ـ «ليحبك الله، نعم! «قال الروح مرة أخرى وهو يلمع ويهتز من الضحك.

ـ «لم يمكنك الحصول على خمسة جنيهات من بيع أي صورة لي أو حتى لك في أوروبا وأمريكا حتى اليوم. لقد كنا متخلفين عن الموضة.»

ـ قال الشبح «يجب أن أرحل في الحال». «دعني أذهب! اللعنة على كل شيء. للمرء واجب واحد تجاه مستقبل الفن. علي العودة إلى أصدقائي. كما يجب على كتابة مقال. يجب أن يكون هناك بيان رسمي. يجب أن نبدأ في إصدار دورية. يجب أن تكون هناك دعاية. دعني أذهب. هذا أكثر من مجرد مزحة!»

ودون الاستماع إلى رد الروح عليه، اختفى الشبح.

t.me/qurssan

«10»

هذه المحادثة أيضا سمعناها.

ـ «هذا تماما.. غير وارد تماما»، قال شبح أنثى لواحدة من النساء المنيرات، «لم ينبغي علي الحلم بالبقاء إذا توقعت مقابلة روبرت. أنا مستعدة لمسامحته، بالطبع. لكن أي شيء أكثر من ذلك مستحيل جدا. كيف له أن يأتي ليكون هنا... ولكن هذا هو شأنك.»

ـ «ولكن إذا كنت غفرت له، «قالت الأخرى،» بالتأكيد...»

ـ قالت الشبح» لقد غفرت له كمسيحية. لكن هناك بعض الأشياء التي لا يمكن لأحد أن ينساها أبدا.»

ـ «ولكن أنا لا أفهم...» قالت الروح الأنثى.

ـ «بالضبط،» قالت الشبح مع ضحكة صغيرة. أنت لم تفهميني أبدا. لأنك دائما ما اعتقدت أن روبرت لا يمكنه أن يفعل شيء خطأ. أعرف. من فضلك لا تقاطعيني للحظة. ليس لديك أقل تصور لما مررت به مع عزيزك روبرت. ذلك الجحود!

لقد كنت أنا من صنعه! ضحيت بحياتي كلها من أجله! ثم ماذا كانت جائزتي؟ الأنانية المطلقة. لا، ولكن اسمعي. لقد كان متسكعا لما يقرب الستمائة عام حين تزوجت به. وانتبهي لكلماتي. هيلدا، كان سيظل على هذا الحال إلى يوم وفاته إذا لم يكن قد قابلني.

t.me/qurssan

كنت أنا من يدفعه خطوة إلى الأمام. لم يكن لديه شرارة الطموح. لقد كان الأمر مثل محاولة رفع كيس من الفحم. لقد كان علي إزعاجه بشكل إيجابي لدفعه للقيام بهذا العمل الإضافي في القسم الآخر، وعلى الرغم من أنه كان بالفعل بداية كل شيء بالنسبة له. يا لكسل الرجال!

لقد قال، لو سمحت، لا أستطيع أن أعمل أكثر من ثلاث عشرة ساعة في اليوم! وكأنما لم أكن أعمل لفترة أطول.

بالنسبة ليومي فإن عملي لم يكن ينتهي عندما ينتهي هو من عمله. كان علي أن أبقيه مستمرا طوال الليل إذا فهمت ما أعنيه. لو كان الأمر على طريقته، فإنه كان سيجلس في مقعده نكدا عندما ينتهي العشاء.

لقد كنت أنا من يضطر إلى إخراجه من نفسه وإبهاجه وخلق حديث معه.

بدون أي مساعده منه، بالطبع. في بعض الأحيان لم يكن حتى يستمع بينما أتحدث إليه. كان علي أن أفكر في الأخلاق الحميدة، إذا لم يكن شيء أخر... يبدو أنه نسي أنني سيدة حتى لو كنت تزوجته، وطوال الوقت كنت أضحي من أجله: ودون أي أدنى تقدير. لقد اعتدت أن أقضي الساعات ببساطة أرتب الزهور لجعل هذا البيت الكئيب يبدو لطيفاً، وبدلا من أن يشكرني، ماذا تعتقدين أنه قال. لقد قال إنه تمنى لو أنني لا أكدس المكتب بالأشياء عندما يحتاجه للكتابه: وكانت ثمة ثورة منه مخيفة للغاية لأنني في إحدى الأمسيات سكبت مياه المزهرية فوق بعض أوراقه. لقد كان الأمر كله حقا هراء لأنه لم يكن له علاقة بعمله. كانت لديه فكرة سخيفة عن كتابة كتاب

t.me/qurssan

في تلك الأيام... كما لو أنه كان يمكنه فعل ذلك. لقد عالجته من ذلك الأمر في النهاية.

«لا، هيلدا، يجب عليك أن تستمعي إلي. المشكلة التي واجهتها، كانت التسلية! كانت فكرة روبرت هي أن يتسرب من تلقاء نفسه من حين لآخر ليرى ما وصفه بأصدقائه القدامى... وتركني لتسلية نفسي!

لكني علمت منذ البداية أن هؤلاء الأصدقاء لن يفيدوه.» كلا روبرت.» قلت له هذا، أصدقاؤك الآن ملكي. إن واجبي أن أستقبلهم هنا، مهما كنت متعبة، ومهما كان ما يمكن تقديمه لهم قليلا.

هل تعتقدين أن هذا كان كافيا. لكنهم حضروا البعض الوقت. وهو ما جعلني أستخدم القليل من اللباقة. يمكن للمرأة التي تمتلك الذكاء أن تلقي كلامه هنا وهناك. أردت لروبرت أن يراهم في ظل خلفية مختلفة. لم يكونوا مرتاحين، بطريقة ما، في غرفة الرسم الخاصة بي: ولا في أفضل حالاتهم. لم أتمكن من منع نفسي من الضحك عليهم في بعض الأحيان. بالطبع روبرت لم يكن مرتاحا أثناء معالجتي المستمرة للأمر، ولكن كان الأمر كله في النهاية من أجل مصلحته. لم يبق أي من هذه المجموعة صديقا له بنهاية السنة الأولى.

ـ «ثم حصل على الوظيفة الجديدة. خطوة كبيرة. لكن ما رأيك؟ بدلا من أن يدرك أن لدينا الآن فرصة للتوسع قليلا، كل ما قاله هو» حسنا الآن، من أجل اللّه دعينا نحصل على بعض السلام»

لقد كاد هذا الكلام أن ينهي علاقتي به. كدت أتخلى عنه: لكني كنت أعرف واجبي. لقد عرفت دائما واجبي.

t.me/qurssan

لا يمكنك أن تصدقي العمل الذي فعلته لأجعله يوافق على أن نحصل على بيت أكبر. لم أكن لأنقم عليه قيد أنملة لو كان فعل الأمر بشكل صحيح. لو أنه فقط رأي المتعة في الأمر كله. لو أنه كان نوعا مختلفا من الرجال لكان من دواعي سروري استقباله عند مدخل الباب عندما يعود من عمله قائلة «تعال يا حبيبي»، لا وقت لتناول العشاء الليلة. لقد سمعت عن منزل خال بالقرب من واتفورد، ولدي المفاتيح، يمكننا الذهاب والعودة بحلول الساعة الواحدة، لكن معه! لقد كان الأمر عبارة عن بؤس مثالي، هيلدا. لأنه في هذا الوقت كان روبرت يتحول إلى رجل لا يهتم بشيء غير الطعام.

«حسنا، لقد أدخلته إلى المنزل الجديد في النهاية. نعم، أعرف. كان أكثر قليلا مما كنا قادرين عليه في ذلك الوقت، لكن كل أنواع الأشياء كانت تتفتح أمامه. وبالطبع، بدأت لا أستقبل أحدا من نوعية أصدقائه بعد ذلك، شكرا لك.

نعم لقد كنت أفعل ذلك كله من أجله. كل صديق له كان مفيداً على الإطلاق كان بسببي. بطبيعة الحال، كان علي أن أرتدي ثيابا جيدة. كان يجب أن تكون تلك أسعد سنوات حياتنا. لو لم يكونوا كذلك فلا يلوم أحد غير نفسه.

أوه، لقد كان رجلا مثيرا للجنون، ببساطة مثير للجنون! لقد كان يجلس فقط ليتحول إلى رجل عجوز صامت ونكد. يغرق في ذاته. كان يمكن أن يبدو أصغر سنا إذا كان قد تقبل الأمر. لم يكن سيسير بانحناءة. أنا متأكدة أنني حذرته من ذلك الأمر في كثير من الأحيان. كان المضيف الأكثر بؤسا. كنا كلما أقمنا حفلا تحملت كل شيء

t.me/qurssan

على كتفي: كان روبرت شخصا يفسد الآخرين كما كنت أقول له (واذا قلت إنني قلت ذلك مرة، فذلك يعني إنني قلت ذلك لمائة مرة) لم يكن دائما هكذا. كان ثمة وقت عندما كان يهتم بكل أنواع الأشياء وكان مستعدا تماما لتكوين الصداقات.

«ماذا حدث لك؟» اعتدت أن أقول ذلك له. لكنه لم يكن يرد على الإطلاق. كان يجلس يحدق في بعيونه الكبيرة الهائلة (أصبحت أكره الرجل ذا العيون السوداء) و- أنا أعرف ذلك الآن - أنه كرهني. هذا كان ثوابي. بعد كل ما قمت به. شر محض، كراهية لا معنى لها: في اللحظة التي كان فيها رجلا ثريا أكثر مما كان يحلم! كما اعتدت أن أقول له، روبرت، أنت ببساطة تسمح لنفسك بالهلاك.

الرجال صغار السن الذين كانوا يأتون إلى المنزل. لم يكن خطئي إذا كانوا معجبين بي أكثر من زوجي ذلك الدب العجوز الذي اعتادوا السخرية منه.

«لقد أنجزت واجبي حتى النهاية. لقد أجبرته على ممارسة الرياضة. وهذا هو السبب الرئيسي لإبقاء داني العظيم. لقد استمررت في إقامة الحفلات. أخذته إلى أكثر الإجازات روعة. لقد رأيت أنه لا يشرب كثيرا. حتى، عندما أصبحت الأمور يائسة، شجعته أن يعاود كتاباته مرة أخرى. لم تكن سستسبب ضررا في ذلك الوقت. كيف كان يمكنني المساعدة إذا كان في النهاية أصيب بانهيار عصبي؟ إن ضميري مستريح. لقد فعلت واجبي تجاهه، إذا كانت هناك أي مرة يمكنني فعل شيء فقد فعلته. لذا أترين كيف سيكون الأمر مستحيلا أن...»

t.me/qurssan

«وحتى الآن... لا أعرف. أعتقد أنني غيرت رأيي. سأقدم لهم عرضا عادلا، هيلدا. لن أقابله، إذا كان الأمر لمجرد مقابلته ولا شيء أكثر. لكن إذا كان الأمر من أجل مساعدته فسأتولى مسؤوليته مرة أخرى. سوف أتحمل أعبائي مرة أخرى. لكن يجب أن تطلق يدي. مع كل الوقت الذي حظي به المرء هنا أعتقد أنني يمكن أن أفعل شيئا له. سنحظى بمكان هادئ لأنفسنا. ألن تكون تلك خطة جيدة؟

إنه ليس جاهزا ليكون بمفرده. إجعليني مسؤولة عنه. إنه يحتاج الى إدارة حازمة. أنا أعلم به جيدا منك. ماهذا؟ لا. أعطيه لي، أتسمعيني؟ لا تستشيريه: أعطيه لي. أنا زوجته، ألست كذلك؟ لقد كنت في البداية فقط. ثمة المزيد، المزيد، والمزيد من الأشياء التي ما زلت أريد أن أفعلها معه. لا، اسمعي، هيلدا. أرجوك، أرجوك!

أنا بائسة جدا. يجب أن يكون لدي شخص ما للقيام بالأشياء له. إن الأمر ببساطة مخيف هنا بالأسفل. لا أحد يهتم لي على الإطلاق. لا أستطيع تغييرهم. إنه أمر مرعب أن نراهم جميعا يجلسون وغير قادرين على فعل شيء معهم. أعيديه لي. لماذا يجب أن يكون كل شيء على طريقته الخاصة؟ إنه ليس من الجيد له. هذا ليس صحيحا. هذا ليس عدلا. أريد روبرت. ماهو الحق الذي لديك لمنعه عني؟ أنا أكرهك. كيف يمكنني الانتقام منه إذا لم تسلميه لي؟

وفجأة استطالت الشبح مثل لهب شمعة ثم خبت. وظلت رائحة حمضية جافة في الهواء للحظة ثم لم يكن هناك أي شبح ليرى.

t.me/qurssan

«11»

واحد من أكثر اللقاءات المؤلمة التي شهدناها كانت بين شبح امراة وروح منيرة كان على ما يبدو شقيقها. لا بد وأنهم كانوا قد التقوا فقط بلحظة قبل أن نمر بهم، لأن الشبح كانت تقول في نبرة تملؤها خيبة أمل غير واضحة» أوه... ريجنالد! إنه أنت، أليس كذلك؟»

ـ «نعم، عزيزتي،» قال الروح. «أعلم انك كنت تتوقعين شخصا آخر. هل يمكنك.. آمل أن تكوني سعيدة ولو قليلا لرؤيتي، في الوقت الحاضر.»

ـ قال الشبح، «لقد اعتقدت أن مايكل كان سيأتي». ثم قالت، بشراسة تقريبا «هو هنا بالطبع؟»

ـ «إنه هناك في الأعالي حيث الجبال.»

ـ «لماذا لم يأت لمقابلتي؟ ألم يكن يعلم؟»

ـ «عزيزتي (لا تقلقي، سيأتي الجميع في الوقت الحاضر) سيأتي، ليس بعد. إنه غير قادر على أن يراك أو يسمعك كما أنت في الوقت الحالي. ستكونين غير مرئية تماما بالنسبة لمايكل. لكن قريبا سنقوم بكسوتك».

ـ «علي أن أفكر أنه إذا كنت تستطيع رؤيتي، ألا يمكن لابني أن يفعل!»

t.me/qurssan

ـ لا يحدث هذا دائما. لقد تخصصت في هذا النوع من العمل.»

ـ «أوه، إنه مجرد عمل بالنسبة إليك، أليس كذلك؟» قاطعته الشبح. ثم قالت بعد توقف، «حسنا، متى سيسمح لي برؤيته؟»

ـ «ليس هناك أي مانع من السماح لك، بام. بمجرد أن يصبح الأمر ممكنا بالنسبة له أن يراك، بالطبع سيفعل. أنت فقط تحتاجين أن تكتسبي بعض الوزن.»

ـ «كيف؟» قالت الشبح. الأمر كان صعباً ويمثل بعض المخاطرة».

ـ «أخشى أن الخطوة الأولى تكون صعبة»، قال الروح.

ـ «لكن بعد ذلك، ستعتادين الأمر. ستصبحين مجسمة بما يكفي لكي يراك مايكل عندما تتعلمين أن ترغبين بشخص آخر غير مايكل. «لا أقول أكثر من مايكل، ليس كبداية»، سيأتي هذا في ما بعد. إنها فقط تلك البذرة الصغيرة من الرغبة في اللّه التي تجعلنا نبدأ العملية.»

ـ «أوه، أنت تقصد الدين وكل هذا النوع من الأشياء؟ إنها اللحظة الصعبة... وتأتي منك، من بين جميع الناس. حسنا، لا عليك. سوف أفعل ماهو ضروري. ماذا تريدني أن أفعل؟ هيا كلما بدأت أسرع سيتركونني أرى ولدي. أنا جاهزة تماما.»

ـ «ولكن، بام، أتعتقدين ذلك! ألا ترين أنك لا تبدئين شيئا على الإطلاق طالما أنت في تلك الحالة الذهنية؟ أنت تتعاملين مع اللّه فقط كوسيلة للوصول إلى مايكل. لكن كل العلاج الكثيف يتكون من تعلمك الرغبة في اللّه من أجل ذاته.»

ـ «أنت لن تتحدث هكذا لو كنت أما.»

t.me/qurssan

ـ «أتقصدين إذا كنت أما مجردة. لكن ليس هناك مثل هذا الشيء أن تكون أما فقط. أنتِ موجودة كأم مايكل فقط لأنك أولا كنت موجودة كمخلوق من صنع اللّه. هذه العلاقة أقدم وأقرب. لا، أنصتي، بام! إنه أيضا يحب. إنه أيضا عانى. إنه أيضا أنتظر لوقت طويل.»

ـ «لو كان يحبني لسمح برؤيتي لولدي. إذا أحبني لماذا أخذ مايكل مني؟ لم أكن أريد أن أقول أي شيء عن هذا الموضوع. لكن من الصعب أن تغفر، كما تعلم.»

ـ «لكنه كان يجب أن يأخذ مايكل. جزئيا كان ذلك لمصلحة مايكل...»

ـ «أنا متأكدة أنني فعلت ما في وسعي لأجعل مايكل سعيدا. لقد سخرت كل حياتي...»

ـ «البشر حقيقة لا يمكن لهم أن يجعلوا بعضهم البعض سعداء لفترة طويلة. وثانياً، من أجلك. لقد أراد لحبك الغريزي لطفلك (النمور يمكنها ذلك، كما تعرفين!) أن يتحول إلى شيء أفضل. لقد أراد أن تحبي مايكل كما يفهم هو الحب. لا يمكنك أن تحبي مخلوقك بالكامل حتى تحبي اللّه. أحيانا يمكن لهذا التحول أن يتم بينما الحب الغريزي ما زال يمنح. ولكن في حالتك لم تكن هناك أدنى فرصة لذلك. كانت الغريزة خارج السيطرة وشرسة وجنونية. (اسألي ابنتك أو زوجك. اسألي أمك. لم تفكري ولو مرة واحدة بها). لقد كان العلاج الوحيد هو التخلص من الموضوع الذي تدور حوله الغريزة. لقد كانت الحالة تحتاج لجراحة. عندما منع هذا النوع

t.me/qurssan

الأول من الحب، فقط كان هناك فرصة في الوحدة، في الصمت، لشيء آخر قد بدأ يكبر.»

ـ «هذا كله هراء قاس وشرير. ما الذي أعطاك الحق في أن تقول كل هذه الأشياء عن محبة الأم؟ إنها أعلى وأقدس شعور في الطبيعة البشرية.»

ـ «بام، بام ـ لا توجد مشاعر طبيعية في حد ذاتها عالية ومنخفضة، مقدسة أو غير مقدسة. إنها كلها مقدسة عندما تكون يد اللّه موجوده فيه. إنها كلها تسوء عندما يقررون لأنفسهم ويحولون أنفسهم إلى آلهة مزيفة.»

ـ «لم يكن حبي لمايكل سيئا على الإطلاق. ليس حتى لو عشنا معا لملايين السنوات.»

ـ «أنت مخطئة. ويجب أن تعلمي ذلك. ألم تقابلي هناك، أمهات لديهن أبنائهن معهن هناك في الجحيم؟»

ـ «هل جعلهم حبهن سعيدات؟»

ـ «إذا كنت تقصد أشخاصا مثل زوجة جوثري وابنها المرعب بوبي، بالطبع لا. أتمنى ألا تكون تشير إلى ذلك... لو كان مايكل معي سأكون سعيدة، حتى ولو هناك بتلك المدينة. ما كنت لأتحدث عنه حتى أصبح الجميع يكره اسمه. وهو ما تفعله وينفريد جوثري بكلامها عن طفلها المزعج هذا. لم أكن سأشتبك مع الناس لعدم منحه الاهتمام الكافي ثم تتملكني الغيرة بشدة لو اهتموا به. لم أكن أستمر في الأنين والشكوى أنه لم يكن لطيفا معي. لأنه، بالطبع

t.me/qurssan

سيكون لطيفا معي. لا تتجرأ على القول بأن مايكل يمكن أن يصبح مثل صبي جوثري. هناك بعض الأشياء التي لا يمكن أن أتحملها.

ـ «ما رأيته في جوثري هو ما تصير إليه العاطفة الطبيعية إذا لم تتغير في النهاية.»

ـ «إنها كذبة، كذبة شريرة ووحشية. كيف يمكن لأي شخص أن يحب ابنه أكثر مما فعلت أنا؟

ـ ألم أحيَ كل تلك السنوات فقط من أجل ذكراه؟»

ـ «كان هذا أيضا خطأ، يا بام. في أعماق قلبك تعرفين ذلك.»

ـ «ماذا كان خطأ؟»

ـ «كل تلك السنين العشر من الحزن. المحافظة على غرفته كما تركها: الحفاظ على ذكراه السنوية: أن ترفضي مغادرة البيت على الرغم من أن ديك وموريل كانا بائسين هناك»

ـ «بالطبع إنهم لم يهتموا. أعرف ذلك. سرعان ماتعلمت أن لا أتوقع أي تعاطف حقيقي منهم.»

ـ «أنت مخطئة. لم يشعر شخص يوما بموت ابنه أكثر من ديك. لم تحب الكثير من الفتيات إخوانهن أفضل من موريل. لم يكن الأمر ضد مايكل إنهم ثاروا عليك: لقد كان الأمر ضدك أنت ـ ضد سيطرتك على حياتهم بالكامل بالماضي: وليس حتى ماضي مايكل، بل ماضيك أنت.»

ـ «أنت بلا قلب. الجميع بلا قلب. الماضي كان هو كل ما لدي.»

t.me/qurssan

ـ «لقد كان هو، كل ما اخترت أن تملكي. لقد كان الطريقة الخاطئة للتعامل مع الحزن. لقد كان الأمر كما كان المصريون يحنطون جثة ميت.»

ـ «أوه، بالطبع. أنا مخطئة. كل ما أقوله أو أفعله خطأ، وفقا لما تقول.»

ـ «ولكن بالتأكيد!» قال الروح، وهي تشرق بالحب والمرح حتى أبهرت النور عيني.

ـ «هذا ما نراه جميعا عندما نصل إلى هذا البلد. لقد كنا جميعا مخطئين! هذه هي المزحة الكبرى. ليس هناك حاجة للتظاهر بأن أحدا كان على حق! بعد ذلك نبدأ بالعيش.»

ـ «كيف تجرؤ على المزاح في هذا الأمر؟ أعطني ابني. هل تسمع؟ لا يهمني كل القواعد واللوائح. أنا لا أؤمن باللّه الذي يفصل بين الأم وابنها. أنا أؤمن بإله الحب. لا أحد يملك الحق أن يفرق بيني وبين ابني. ولا حتى اللّه. أخبره بذلك في وجهه. أريد ابني. وأنا أعني ذلك. إنه ملكي. هل تفهم؟ ملكي، ملكي، ملكي، دائما وأبدا.»

ـ «سيكون، بام. كل شيء سيكون لك. اللّه نفسه سيكون لك. لكن ليس بهذه الطريقة. لا شيء يمكن أن يكون لك بالفطرة.»

ـ «ماذا؟ ولا حتى ابني، الذي هو قطعة من جسدي؟»

ـ «وأين جسدك هذا الآن؟ ألا تعرفين أن الطبيعة لها نهايتها؟ انظري! الشمس ستبزغ فوق الجبال هناك: ستشرق في أي لحظة الآن.»

ـ «مايكل ملكي.»

ـ «كيف يكون ملكا لك؟ أنت لم تصنعيه. الطبيعة هي التي جعلته

t.me/qurssan

ينمو داخل جسدك دون إرادتك. حتى ضد إرادتك... إنك تنسين أحيانا أنك لم ترغبي في إنجاب طفل على الإطلاق. مايكل كان في الأصل مصادفة.»

ـ «من الذي أخبرك بذلك؟ قالت الشبح: وبعد ذلك، تماسكت قائلة،» إنها كذبة. هذا ليس صحيحا. إنه ليس من شأنك. أكره دينك وأكره وأحتقر إلهك. أنا أؤمن بإله الحب.»

ـ «ومع ذلك، بام، ليس لديك حب في هذه اللحظة لأمك أو لي.»

ـ «أوه، لقد فهمت، هذه هي المشكلة إذن، أليس كذلك؟ حقا ريجنالد! فكرة أنك تتألم لأنني..»

ـ «أحبك الله!» قال الروح بضحكة هائلة. «أنت لا تحتاجين أن تفكري في ذلك! ألا تعرفين أنك لا تستطيعين أذية أحد في هذا البلد؟»

كانت الشبح صامتة ومندهشة. للحظة اعتقدت أنها بدت أكثر ذبولا، نتيجة لهذا الاطمئنان من الروح أكثر من أي شيء آخر قيل.

ـ «تعال. سنذهب أبعد قليلا، «قال معلمي، وهو يضع يده على ذراعي.

ـ «لماذا أحضرتني، سيدي؟» قلت عندما رحلنا وتوقفنا عن سماع هذا الشبح التعيس.

ـ «قد يستغرق الأمر فترة أطول، مع تلك المحادثة» قال معلمي.

ـ «وأنت قد سمعت مايكفي لترى أي اختيار يكون.»

t.me/qurssan

ـ «هل هناك أي أمل بالنسبة لها يا سيدي؟»

ـ «آي، ثمة بعض أمل. لقد تحول ما تسميه حباً لابنها إلى شيء بائس. شائك، مقفر. ولكن لا تزال هناك شرارة من شيء لا يقتصر عليها. قد يمكن النفخ فيه ليتحول إلى لهب.»

ـ «إذن بعض المشاعر الطبيعية هي حقا أفضل من غيرها. أعني هي نقطة انطلاق أفضل لشيء حقيقي؟»

ـ «أفضل وأسوأ. هناك شيء ما في العاطفة الطبيعية ستقود إلى الحب الأبدي بسهولة أكثر مما يمكن أن تقوده الرغبة الطبيعية. ولكن هناك أيضا شيء ما قد يجعل من السهل التوقف عند المستوى الطبيعي وإساءة فهمه والخلط بينه وبين القداسة.

يتم الخلط بين النحاس والاعتقاد بأنه ذهب بسهولة أكثر من الطين. وإذا رفضت أخيرا التحول فإن فسادها سيكون أسوأ من فساد ما تسميه المشاعر الدنيا. كالملاك القوي، عندما يسقط، سيكون شيطانا أكثر شراسة.»

ـ «لا أعرف إذا ما كنت أجرؤ على تكرار ذلك على الأرض، سيدي» قلت أنا.

ـ «سيقولون أنني لم أكن إنسانيا: سيقولون أنني آمنت بالفساد الكلي: سيقولون أنني كنت أهاجم أفضل وأقدس الأشياء. كانوا سيدعونني...»

ـ «ربما لم يكن هذا ليسبب لك أي ضرر لو فعلوا ذلك،» قال هو مع ـ ما اعتقدته ـ وميضا في عينيه.

t.me/qurssan

ـ «لكن، هل يمكن للمرء أن يجرؤ على أن يواجه أما ثكلى، في بؤسها، إذا لم يكن المرء نفسه ثكلان؟...»

ـ «كلا، كلا، يا بني، هذا ليس مكانك. أنت لست جيدا بما يكفي لتفعل ذلك. عندما يكون قلبك مكسورا سيحين الوقت للتفكير في ذلك الحديث. لكن يجب على المرء أن يقول بشكل عام ما لم يقل منذ سنوات: هذا الحب، كما يفهم البشر الكلمة، لا يكفي. كل حب طبيعي سوف يرتفع ثانية ويحيا إلى الأبد في هذه البلد: لكن لا شيء سيرتفع مرة أخرى حتى يدفن.»

ـ «المثل يكاد يكون من الصعب للغاية فهمه بالنسبة لنا.»

ـ «آه، لكن من القسوة ألا نقول ذلك. إن الذين يعرفون صاروا يخافون من الكلام. هذا هو السبب في أن الأحزان أصبحت تستخدم الآن لتطهير جروحنا.»

ـ «كيتس كان مخطئا إذن، عندما قال إنه متأكد من قدسية محبة القلب.»

ـ «أشك إذا كان يعرف بوضوح ما الذي كان يقصده. لكن أنا وأنت يجب أن نكون واضحين. ليس هناك سوى خير واحد؛ وهو اللّه. كل شيء آخر جيد عندما ينظر إليه وسيء عندما نشيح بوجهنا عنه. وهو الأعلى والأقوى في ترتيب الطبيعة، والأكثر تمثلا بالشيطان هم الذين سوف يتمردون. الأمر لا يتمثل في أن الشياطين يتم صنعها من الفئران السيئة أو البراغيث السيئة، ولكنها تصنع من الملائكة السيئين. أن شهوة الدين الزائف أحط من التدين الزائف لمحبة الأم

t.me/qurssan

أو حب الوطن أو محبة الفن: لكن الشهوة أقل احتمالا من أن تصنع داخل الدين. لكن انظر!»

رأيت شبحا يحمل شيئا على كتفه متجها إلينا. مثل كل الأشباح، لم تكن له ملامح، لكنهم كانوا يختلفون عن بعضهم البعض. البعض كان أبيض؛ لكن هذا الشبح كان داكنا وزيتيا. وما استقر على كتفه كان عبارة عن سحلية صغيرة لونها أحمر. وكانت تحرك ذيلها مثل السوط وتهمس في أذنه بأشياء. وعندما رأيناه أدار رأسه إلى السحلية بصبر نافد.

«اسكتي، أقول لك!» قال الشبح. ظلت السحلية تحرك ذيلها وتهمس له. فتوقف عن الزمجرة وبدأ يبتسم، ثم التفت وبدأ يعرج إلى الاتجاه الغربي، بعيدا عن الجبال.

ـ «هكذا سريعا؟ قال صوت.

كان المتحدث الذي كان يبدو أكثر أو أقل في شكل بشري ولكنه أكبر من أن يكون رجلا، ومنيرا للدرجة التي تمكنت بالكاد من النظر إليه. كان وجوده يؤلم عيني وجسدي أيضا (لأن حرارة كانت تصدر عنه إضافة إلى الضوء) مثل شمس الصباح في بداية يوم صيفي حارق.

ـ «نعم. أنا راحل، «قال الشبح. «شكرا على كرم ضيافتك. لكنها ليست جيدة، كما ترى. أخبرت ذلك الفم الصغير» (مشيرا إلى السحلية)، «أنها يجب أن تكون هادئة إذا جاءت ـ وهو الأمر الذي أصرت عليه ـ بالطبع أشياؤها التي تفعلها لن تنفع هنا: أنا أفهم ذلك. لكنها لن تتوقف، لذا سأضطر للعودة إلى المنزل»

t.me/qurssan

ـ «هل ترغب مني أن أجعلها هادئة؟» قال الروح المشتعل أو الملاك كما فهمت الآن.

ـ «بالطبع أود ذلك» قال الشبح.

ـ «إذن سأقتلها، «قال الملاك متقدما بخطوة للأمام.

ـ «أوه، آه، انتظر! انتظر أنت تحرقني. ابتعد» قال الشبح وهو يتراجع للخلف.

ـ «ألا تريد قتلها؟»

ـ «أنت لم تقل شيئا عن قتلها في بداية الأمر. لا أرغب في إزعاجك بأي شيء مثل هذا.»

ـ قال الملاك الذي كانت يداه المشتعلتان الآن تقتربان من السحلية، «إنها الطريقة الوحيدة، هل أقتلها؟»

ـ «حسنا، هذا سؤال إضافي. أنا مستعد تماما للنظر فيه. ولكنها نقطة جديدة، أليس كذلك؟ أعني في الوقت الحالي، أنا أفكر فقط في إسكاتها لأن الأمر هنا محرج جدا.»

ـ «هل لي أن أقتلها؟»

ـ «حسنا، هناك وقت لمناقشة ذلك لاحقا.»

ـ «ليس هناك وقت. هل لي أن أقتلها؟»

ـ «من فضلك، أنا لم أقصد أبدا مثل هذا الإزعاج. من فضلك، لا تهتم. انظر! لقد سكنت من نفسها. أنا متأكد أنها ستكون على ما يرام الآن. شكرا لك.»

t.me/qurssan

ـ «هل لي أن أقتلها؟»

ـ «بصراحة، أنا لا أعتقد أن هناك أدنى حاجة لذلك. أنا متأكد أنني سأتمكن من ضبطها الآن. أعتقد أن العملية تدريجيا ستكون أفضل بكثير من قتلها.»

ـ «العملية التدريجية لا فائدة منها على الإطلاق.»

ـ «هل تعتقد ذلك؟ حسنا، سأفكر فيما قلت بعناية شديدة. سوف أفعل بصدق. بصراحة كنت سأتركك تقتلها الآن، لكن في الحقيقة، أنا لا أشعر أنني بصحة جيدة اليوم. سيكون الأمر سخيفا للقيام بذلك. أحتاج أن أكون بصحة جيدة من أجل العملية. ربما في يوم آخر، ربما»

ـ «لا يوجد يوم آخر. كل الأيام حاضرة الآن.»

ـ «ابتعد! أنت تحرقني. كيف أقول لك أن تقتلها» سوف تقتلني إذا فعلت ذلك.»

ـ «الأمر ليس هكذا»

ـ «لماذا، أنت تؤلمني الآن.»

ـ «لم أقل أبدا أن الأمر لن يؤلمك. لقد قلت إنه لن يقتلك.»

ـ أوه، أنا أعرف، أنت تعتقد أنني جبان. لكن الأمر ليس كذلك. حقا ليس كذلك. أنا أقول لك! دعني أعود إلى الحافلة الليلة والحصول على رأي طبيبي الخاص. سأعود ثانية في أول لحظة يمكنني فيها ذلك.»

t.me/qurssan

ـ «هذه اللحظة تحتوي على كل اللحظات»

ـ «لماذا تعذبني؟ أنت تهزأ بي. كيف يمكنني السماح لك بأن تمزقني؟ إذا رغبت في تقديم مساعدة لي، لماذا تريد قتل الشيء اللعين دون أن أعرف قبل أن تسألني؟ كان كل شيء سينتهي الآن إذا كنت فعلت ذلك.»

ـ «لا أستطيع أن أقتلها ضد إرادتك. إنه أمر مستحيل. هل لك أن تمنحني الإذن؟»

كانت يد الملاك تقريبا تمسك بالسحلية، لكن ليس تماماً، ثم بدأت السحلية بالثرثرة في أذن الشبح بصوت عال حتى إنني استطعت سماع ما كانت تقول. «احترس» قالت.» بإمكانه أن يفعل ما يقول. بإمكانه قتلي. كلمة واحدة حاسمة منك وسوف يفعل! ثم عندها ستكون بدوني حتى أبد الآبدين. هذا ليس طبيعيا. كيف يمكنك أن تحيا؟ ستكون فقط نوعا ما شبحا، لا رجلا حقيقيا كما أنت عليه الآن. إنه لا يفهم. إنه مجرد شيء بارد لا دماء فيه. ربما يكون الأمر طبيعيا بالنسبة له. لكنه ليس كذلك بالنسبة لنا. نعم، نعم. أنا أعرف أنه لا توجد ملذات حقيقية الآن. فقط في الأحلام. لكن أليست أفضل من لا شيء؟ بالإضافة إلى إنني سأكون على ما يرام. أعترف أنني كنت أتجاوز في الماضي، لكني أعدك أنني لن أفعل ذلك مجددا. لن أعطيك شيئا سوى أحلام جميلة، حلوة، طازجة، وبريئة تقريبا»

ـ «هل لك أن تأذن لي؟» قال الملاك للشبح.

t.me/qurssan

ـ «أعرف أن ذلك سيقتلني.»

ـ «لن يحدث ذلك. ولكن افترض أنه فعل؟»

ـ «أنت على حق. سيكون من الأفضل أن أكون ميتا من العيش مع هذا المخلوق.»

ـ «إذن هل لي؟»

ـ «اللعنة عليك! هيا ألا يمكنك فعلها؟ انتهِ منها.. افعل ما تشاء!

«صرخ الشبح: ولكن ظل ينوح:

ـ «ليساعدني اللّه. ليساعدني اللّه.»

في اللحظة التالية صرخ الشبح صرخة معذبة لم أسمع مثلها من قبل على الأرض. لقد قرب الملاك المشتعل قبضته القرمزية فوق السحلية: وثناها، بينما كانت تتلوى وتعقر، ثم ألقى بها فوق الأرض العشبية.

ـ «أوه! لقد انتهى الأمر بالنسبة لي»، قال الشبح، مترنحا إلى الخلف.

للحظة لم أتمكن من فعل شيء واضح. ثم رأيت، في الجزء الذي بيني وبين الأحراش القريبة، بدون لبس ذراع الرجل وجزئه العلوي ينمو مجسما ويصير أكثر تجسّدا كلما نما. ثم، وما زالت أكثر لمعانا وأقوى. نمت الأرجل والأيدي والعنق ورأس ذهبي، بينما كنت أشاهد. ولولا أن انتباهي لم يتشتت لكنت رأيت الاكتمال الفعلي لرجل، رجل ضخم، عارٍ، ليس أقل حجما من الملاك.

لكن ما شتت انتباهي هو أنه في الوقت ذاته كان يبدو أن شيئا ما

t.me/qurssan

يحدث للسحلية. في البداية ظننت أن العملية فشلت. حتى الآن وهي تموت، كانت المخلوقة لا تزال تكافح وتنمو وتكبر كلما كافحت. ومع نموها تتحول. الأجزاء التي كانت تعيقها نمت بشكل مستدير. وظل الذيل يتحرك، ثم صار ذيلا مشعرا يتحرك بين أرداف ضخمة ولامعة. وفجأة تراجعت للخلف وأنا أفرك عيني، لقد كان ما يقف أمامي هو أكبر جواد رأيته على الإطلاق، أبيض فضي ولكن مع ذيل ذهبي. لقد كان ناعما ولامعا مع تموجات ضخمة من اللحم والعضلات، يصهل ويخدش بحوافره في الأرض، وعند كل ركله منه، كانت الأرض ترتج والأشجار ترتجف.

استدار الرجل الجديد وربت على عنق الفرسة الجديدة. تشمم جسدها اللامع. كانت الفرس وسيدها يتبادلان الأنفاس بين كل منهما. ثم استدار الرجل وألقى بنفسه عند قدم الملاك المشتعل، واحتضنها. عندما نهض اعتقدت أن وجهه كان يشحذ بالدموع، لكنه ربما كان فقط سائل الحب والنور (لا أحد يمكنه التفرقة بينهما في هذا البلد) هو الذي يتدفق منه. لم يكن لدي الكثير من الوقت لأفكر في الأمر.

في عجلة مبهجة، قفز الشاب على ظهر الفرس ولوح مودعا ثم دفع دفعها بكعب قدمه لتتحرك. لقد اختفوا قبل أن أنتبه إلى ما يحدث.

خرجت من بين الشجيرات بأسرع ما أستطيع لأتمكن من تتبعهم بعيني. لكنهم كانوا بالفعل مثل نجم منطلق بعيدا فوق السهل الأخضر، وسرعان ما كانوا بين سفوح الجبال. ثم، كنجم مستمر رأيتهم ينتهون من تسلق ما بدا عميقا ومستحيلا، بشكل أسرع في كل

t.me/qurssan

لحظة حتى اقتربوا من الضوء الخافت للمنظر الطبيعي، عال للدرجة التي كان لا بد أن أرهق عنقي لرؤيتهم، حتى اختفيا، بنورهم داخل شروق وردة هذا الصباح الأبدي.

وبينما كنت لا أزال أشاهد، لاحظت أن كل السهل والغابة كانا يهتزان مع صوت، بالنسبة لعالمنا، كان سيبدو عاليا جدا ليمكن تحمل سماعه، ولكن هنا، يمكنني أن أتحمله بفرح. لقد عرفت أنه ليس المجسمون من كانوا يغنون. لقد كان الصوت صادرا عن تلك الأرض، تلك الغابة، وهذه المياه، غريبا وقديما، صخب غير عضوي، يأتي من كل الاتجاهات في وقت واحد. كانت الطبيعة أو الطبيعة العميقة مبتهجة أن يتم امتطاؤها مرة أخرى ومن ثم استخدامها من الشخص الذي امتطى الجواد. كانت تغني»

«يقول السيد لسيدنا، تعال. شارك راحتي وأشرق حتى تصير كل الطبائع التي كانت أعداءك، عبيدا لك يرقصون ويساندونك كي تمتطي جوادك ويثبتون أقدامك حتى تستريح.»

من أبعد مكان وزمان، من المكان ذاته، ستمنح لك السلطة: القوة التي كانت ضد إرادتك ستكون نارا مطيعة في دمائك ورعد مقدس في صوتك.

«لقد تجاوزنا ذلك، تجاوزناه بشدة، قد نكون أنفسنا، أننا نرغب في بداية عهدك كما رغبتنا عند الفجر والندى، ورطوبة مولد الضوء.

«أيها السيد، سيدك اختارك إلى الأبد: لتكون ملكنا العادل وكاهننا الأعلى.»

t.me/qurssan

ـ «هل تفهم كل هذا يابني؟» قال المعلم.

ـ «أنا لا أعرف كل شيء، ياسيدي» قلتُ.

ـ «هل أنا محق في أن السحلية تحولت بالفعل إلى جواد؟»

ـ «نعم، ولكن تم قتلها أولا. لا تنس ذلك الجزء من القصة؟»

ـ «سأحاول يا سيدي، لكن هل يعني ذلك أن كل شيء ـ كل شيء ـ فينا يمكن أن يذهب إلى الجبال؟»

ـ «لا شيء، ولا حتى الأفضل والأنبل، يمكن أن يستمر بشكله الحالي. لا شيء. ولا حتى ما هو أدنى وأكثر وحشية، لن يمكنه أن ينهض مرة أخرى اذا أذعن للموت. إنه ينبت كجسد طبيعي، ينهض على هيأة روحية. اللحم والدم لا يمكن لهما أن يذهبا إلى الجبال. ليس لأنهما في مرتبة عالية، ولكن لأنهما ضعيفان للغاية.

ـ «ما وجه المقارنة بين السحلية والفرس، إن الشهوة شيء بائس، وضعيف، ومتذمر، يهمس بأشياء مقارنة بهذا الثراء وطاقة الرغبة التي ستنهض عندما تُقتل الشهوة.»

ـ «لكن هل يمكنني إخبارهم في البيت أن حسية هذا الرجل أثبتت أنها أقل عائقا من حب تلك المرأة البائسة لابنها؟ لأن ذلك كان، على أية حال، إفراطا في الحب.»

ـ «أنت لن تخبرهم بشيء من هذا القبيل»، أجابني بإصرار» إفراط في الحب، هل قلت ذلك؟ ليس هناك إفراط في الحب، كانت هناك علة. لقد أحبت ابنها قليلا جدا، ليس كثيرا جدا. لو أنها أحبته أكثر لما كانت هناك أي صعوبة. أنا لا أعرف كيف ستنتهي علاقتها. ولكن

t.me/qurssan

قد تكون الآن في هذه اللحظة تطالب بإقامته معها في الجحيم. هذا النوع في بعض الأحيان مستعد تماما لإغراق الروح التي يقولون إنهم يحبونها في بؤس لا نهاية له إذا كان لا يزال بإمكانهم بطريقة ما تملكها.

كلا، كلا. يجب أن تتعلم درسا آخر. يجب أن تسأل نفسك إذا كان الجسد الذي نهض متساويا في غريزته مثل الفرس الهائل الذي رأيته، فماذا سيكون عن جسد الحب الأمومي أو الصداقة؟ ولكن مرة أخرى تشتت انتباهي.

«هل ثمة نهر آخر ياسيدي؟» سألت.

t.me/qurssan

«12»

كان سؤالي إذا كان ثمة نهر آخر بسبب أنه أسفل الممر الطويل للغابة، كانت الفروع المورقة قد بدأت في الارتعاد بتأثير ضوء راقص: وعلى الأرض كنت أعلم أن لا شيء ينتج عنه هذا المنظر إلا الأضواء المنعكسة التي تتصاعد أثناء تحرك المياه.

بعد لحظات قليلة أدركت خطئي. كان نوع من المواكب يقترب منا، وكان النور يصدر عن الأشخاص الذين فيه. أولا كانت الأرواح الساطعة، ليست الأرواح الرجالية، التي رقصت ونثرت الأزهار التي تساقطت دون صوت، وجرفت الأزهار الخفيفة، وعلى الرغم من أنه بمعايير عالم الأشباح، كانت كل بتلة منها تزن مائة من وزنها. وسقوطها يشبه تحطم الصخور.

ثم، على اليسار واليمين، على كل جانب من طريق الغابة، جاءت أشكال شبابية، أولاد من جهة، وفتيات من الجهة الاخرى. إذا أمكنني أن أتذكر غناءهم وأدون الملاحظات، لن يصبح من يقرأ هذا عليلا أو مسنا أبدا. كان يسير بينهم موسيقيون: وبعد هذا جاءت سيدة. والذي كان يجري كل هذا على شرفها، والآن لا أستطيع تذكر ماذا إذا كانت عارية أو مرتدية للملابس. فلو كانت عارية لا بد أنني نسيت بسبب الظل الواضح للطفها وفرحها الذي أنتج في ذاكرتي

t.me/qurssan

خيالا للقطار الهائل اللامع الذي كان يتبعها عبر العشب المبتهج. ولو كانت مكسوة، لا بد أن وهم العري كان راجعا إلى الشك، بسبب الشفافية التي كانت تضيء عمق روحها وتظهر من خلال الملابس.

لأن الملابس لا تعد سترا في هذا البلد: فالجسد الروحي يعيش على طول كل خيط ويحوله إلى أعضاء حية. فالرداء أو التاج يكون مثل أي جزء من ملامح مرتديه مثل شفاه أو عين. ولكني نسيت. وفقط جزئيا أتذكر جمال وجهها الذي لا يحتمل.

ـ «أليس كذلك؟..أليس كذلك؟»هامسا لمرشدي.

ـ «لا على الإطلاق «قال.

ـ «إنها شخص لم تسمع به من قبل. كان اسمها على الأرض سارة سميث وعاشت في جولديرز جرين.»

ـ «إنها تبدو... حسنا، شخصا ذا أهمية خاصة؟»

ـ «نعم، إنها واحدة من العظماء. لقد سمعت أن الشهرة في هذا البلد والشهرة على الأرض شيئان مختلفان تماماً»

ـ «ومن هم هؤلاء العمالقة... انظر! انهم مثل الزمرد... هؤلاء الذين يرقصون ويلقون الزهور أمامها؟»

ـ «ألم تقرأ نسختك الخاصة من كتاب ميلتون؟ هناك ألف من الملائكة المفعمين بالحيوية في خدمتها.»

ـ «ومن هم كل هؤلاء الشباب من الرجال والنساء على كل جانب؟»

ـ «أنهم أبناؤها وبناتها».

ـ «لا بد وأن لديها عائلة كبيرة جدا يا سيدي.»

t.me/qurssan

ـ «كل شاب أو فتى التقى بها أصبح ابنها حتى لو كان الطفل الذي يحضر اللحم إلى بابها الخلفي. كل فتاة قابلتها كانت ابنة لها.»

ـ «أليس هذا بالصعب على آبائهم؟»

ـ كلا. هناك من يسرق أبناء الآخرين. لكن أمومتها كانت من نوع مختلف. أولئك الذين سقطوا على كاهل آبائهم الطبيعين عادوا ليحبوهم أكثر. القليل من الرجال كانوا يجلونها دون أن يتحولوا بطريقة معينة إلى عشاق لها. ولكن هذا النوع من الحب لم يجعلهم أقل إخلاصاً، فقد كانوا مخلصين لزوجاتهم.»

ـ «وكيف.. ولكن! ما كل هذه الحيوانات؟ القطط ـ العشرات من القطط. وكل تلك الكلاب. لماذا لا أستطيع عدهم. وكل هذه الطيور. والخيول.»

ـ «إنها حيواناتها»

ـ «هل كانت تحتفظ بحديقة حيوانات؟» أعني، هذا كثير جداً.

ـ «كل حيوان وطير جاء بقربها كان له مكان في حبها. لقد أصبحوا أنفسهم في داخلها. والآن فإن وفرة الحياة التي لديها في المسيح الأب تتدفق إليهم.»

ـ نظرت إلى معلمي في دهشة.

ـ «نعم» قال.» إن الأمر يشبه عندما تلقي حجرا في بركة، وتنتشر الموجات المتراكضة أكثر فأكثر. من يعرف أين ستنتهي؟ إن الإنسانية المستعادة ما زالت شابة، لكنها بالكاد تصل إلى قوتها الكاملة. ولكن بالفعل هناك فرح كاف في الإصبع الصغير لقديسة عظيمة مثل السيدة التي هناك يمكن إعادة كل الأشياء الميتة في الكون إلى الحياة.»

t.me/qurssan

وبينما كنا نتحدث كانت السيدة تتقدم بثبات نحونا، لكنها لم تكن تنظر إلينا. وبتتبع اتجاه نظراتها، التفت لأرى شبحا غريب الشكل يقترب. أو بالأحرى شبحان: شبح طويل القامة، رقيق ومزعج بشكل فظيع، بدا وكأنه يقود سلسلة أخرى في نهايتها شبح آخر ليس أكبر من حجم قرد.

كان الشبح طويل القامة يرتدي قبعة سوداء ناعمة، وذكرني بشيء لا تستطيع ذاكرتي استدعاءه. ثم عندما كان على بعد خطوات من السيدة وضع يده الهزيلة الممزقة على صدره بأصابعه المتباعدة، ثم صاح في صوت أجوف «أخيرا!» ومرة واحدة تذكرت ما لم تستطع ذاكرتي استدعاؤه. لقد كان مثل ممثل بائس من ممثلي المدرسة القديمة.

ـ «حبيبي! أخيرا!» قالت السيدة.

ـ «يا إله السموات!» قلت لنفسي. «بالتأكيد هي لا... «ثم لاحظت شيء.

أولا، لاحظت أن الشبح الصغير لم يكن يقوده الشبح الكبير. لقد كان ما يشبه القزم هو الذي يمسك بيده السلسلة والشخصية المسرحية هي التي وضعت الطوق حول عنقها.

ثانيا، لقد لاحظت أن السيدة كانت تنظر فقط إلى الشبح القزمي. يبدو أنها كانت تعتقد أن القزم هو الذي كان يخاطبها، أو أنها كانت تتجاهل الآخر متعمدة. حين ادارت عينيها إلى القزم المسكين، لم يكن الحب فقط يلمع من وجهها ولكن من جميع أطرافها، كما لو أنه سائلا تستحم فيه.

ثم، ما أثار استيائي هو أنها اقتربت أكثر وانحنت ثم قبلت القزم.

t.me/qurssan

لقد جعلني الأمر أشعر بالقشعريرة أن أراها في مثل هذا القرب والاتصال بهذا الشيء البارد الرطب المنكمش. لكنها لم تقشعر.

ـ قالت «فرانك»، «قبل أي شيء آخر، سامحني، على كل ما فعلت، لم أفعل شيئا صحيحا منذ أول يوم تقابلنا فيه، أسألك العفو.

ـ «نظرت بشكل جيد إلى القزم وللمرة الأولى: أو ربما، عندما قبلته صار أوضح قليلا. للدرجة التي تمكن المرء من أن يتخيل شكل الوجه الذي كان عليه عندما كان رجلا: وجه بيضاوي منمش مع ذقن صغير وأثر صغير لشارب لم ينجح في إطالته.

نظر إليها، نظرة غير كاملة. فقد كان يتابع المشهد التراجيدي بزاوية عينيه. ثم جذب السلسلة قليلا: وكان الممثل التراجيدي هو الذي أجاب السيدة وليس هو.

ـ «هنا، هنا» قال التراجيدي.» لن نقول المزيد عن ذلك. كلنا نرتكب أخطاء.» مع الكلمات كان على ملامحه انقباض شبحي، والذي اعتقد، كان المقصود منه أن تكون ابتسامة.

ـ «لن نقول أكثر من ذلك،» وتابع. «ليس أنا الذي أفكر فيه، أنه أنت. ذلك هو ما كان يدور في ذهني طوال هذه السنين. أفكر فيك أنت وحدك، وكيف كسرت قلبك بسببي.»

ـ «لكن الآن، «قالت السيدة موجهة حديثها إلى القزم، «يمكنك أن تنسى ذلك. لا تفكر هكذا مرة أخرى. كل شيء انتهى.

ـ «أشرق جمالها بحيث أمكنني بصعوبة رؤية شيء غيره، وتحت هذا الإلزام الجميل، نظر القزم إليها لأول مرة. ولثانية اعتقدت أنه كان ينمو أكثر ليصبح مثل رجل. ثم فتح فمه، كان هو من سيتحدث

t.me/qurssan

هذه المرة، لكن خيبة الأمل تملكتني كانت عندما خرجت الكلمات!

ـ «هل اشتقت إلي؟» قالها بصوت ثغاء صغير أجش. ومع ذلك حينها لم تفاجأ هي. ظل الحب واللياقة يتدفقان منها.

ـ قالت «عزيزي. سوف تفهم ذلك قريبا جداً»، «لكن اليوم...»

ما حدث بعد ذلك صدمني. تكلم القزم والتراجيدي في انسجام. ليس إليها ولكن إلى بعضهم البعض.

ـ «سوف ترى،» حذرا بعضهما البعض،» إنها لم تجب على سؤالنا.

ـ «أدركت حينها أنهما شخص واحد، أو بالأحرى أن كليهما بقايا لما كان ذات مرة شخصاً. حرك القزم السلسلة مرة أخرى.

ـ «هل اشتقت إلي؟» قال التراجيدي موجها حديثه إلى السيدة، ورجفة مسرحية رهيبة في صوته.

ـ «صديقي العزيز»، قالت السيدة، وما زالت تنظر حصريا إلى القزم، «قد تكون سعيدا بذلك، وبكل شيء آخر. انسَ عنك كل هذا إلى الأبد.»

ـ وحقا، للحظة، اعتقدت أن القزم سوف يطيعها: جزئيا لأن ملامح وجهه أصبحت أوضح قليلا، ولأن الدعوة إلى الفرح التام، والغناء الصادرة منها كانت كطائر يغرد أغنية في مساء أبريل، وبدت لي وكأنه ليس هناك مخلوق يمكنه مقاومتها. ثم مرة أخرى تكلم هو وشريكة في انسجام تام. قالا لبعضهما البعض.

ـ «بالطبع سيكون من الجيد ومن الشهامة ألا نضغط على هذه النقطة»، قالا لبعضهما، «لكن هل يمكننا التأكد من أنها ستلاحظ؟ لقد فعلنا مثل هذه الأشياء من قبل. كان ذلك وقت أن تركناها تأخذ الطابع الاخير لتكتب خطابا لأمها ولم تقل شيئا على الرغم من أنها

t.me/qurssan

كانت تعلم أننا نريد أن نكتب خطابا نحن أيضا. لقد اعتقدنا أنها ستتذكر وترى كيف كنا غير أنانيين. ولكنها لم تتذكر مطلقا. وكان ثمة وقت... أوه، الكثير والكثير من الأوقات!» لذا هز القزم السلسلة و...

ـ «لا أستطيع نسيان ذلك.» بكى التراجيدي. «وأنا لن أنسى ذلك، أيضا. يمكنني مسامحتهم على كل ما فعلوه لي. ولكن بالنسبة لتعاستك...»

ـ «أوه، ألا تفهم؟» قالت السيدة. «لا يوجد تعاسة هنا.»

ـ «هل تقصدين أن تقولي،» أجاب القزم، كما لو أن الفكرة الجديدة جعلته ينسى تماما التراجيدي للحظة، «على تقصدين أن تقولي إنك كنت سعيدة؟»

ـ «ألا تريد أن أكون سعيدة؟ ولكن بغض النظر. أرغب بذلك الآن. أو لا تفكر في الأمر على الإطلاق.»

غض القزم طرفه عنها. يمكن للمرء أن يرى أن الفكرة تحاول أن تدخل في عقله الصغير: يمكن للمرء أن يرى حتى أنه كان يتذوق بعضا من حلاوة الأمر. لثانية كاد أن يترك السلسة من يده: ثم كما لو كانت تمثل مصير حياته قبض عليها مرة أخرى.

ـ «انظر هنا» قال التراجيدي.» علينا مواجهة ذلك.» كان يستخدم لهجة رجولية متنمرة تلك المرة: تلك اللهجة التي تستخدم لإرجاع المرأة إلى رشدها.

ـ «حبيبي» قالت السيدة إلى القزم، «لا يوجد شيء لتواجهه. أنت لا تريدني أن أكون بائسة من أجل البؤس. أنت تعتقد فقط أني يجب أن أكون لو أنني أحببتك. ولكن إذا فقط انتظرت سترى أنه ليس كذلك.»

t.me/qurssan

ـ «حب!» قال التراجيدي وهو يخبط جبهته بيده: ثم قال بعضها بشكل أعمق،» الحب! هل تعرفين معنى تلك الكلمة؟»»

ـ «كيف لا أعرف؟» قالت السيدة.» أنا أحب، أنا أحب، هل تفهم؟ نعم الآن أنا أحب حقا.»

ـ «أتقصدين» قال التراجيدي،» أنك لم تحبيني حقا في الأيام السابقة؟»

ـ «فقط بطريقة بائسة للحب»، أجابت.» لقد سألتك أن تسامحني. لقد كان هناك القليل من الحب الحقيقي في ذلك. ولكن ما كنا نطلق عليه حباً هناك في الأسفل كان في الغالب الرغبة في أن تحب. في المقام الأول لقد أحببتك من أجل نفسي: لأنني كنت أحتاجك؟»

ـ «والآن؟» قال التراجيدي مع بعض من اليأس.» الآن، أنت لم تعودي بحاجة إلي؟»

ـ «بلى، بالطبع!» قالت السيدة؛ وابتسامتها تجعلني أتعجب من كلا الشبحين كيف استطاعا أن يكفا عن البكاء من الفرح.

ـ «ما الاحتياجات التي يمكن أن تكون لدي «قالت هي،» الآن لدي كل شيء؟ أنا ممتلئة الآن، لست فارغة. أنا أحب ذاته، لست وحيدة، أنا قوية، ولست ضعيفة. وسوف تكون نفس الشيء. تعال لترى. لن يكون لدينا حاجة لبعضنا البعض الآن.: يمكننا أن نبدأ الحب الحقيقي.

ـ «لكن التراجيدي كان لا يزال يعلن سلوكة الرافض.

ـ «إنها لم تعد بحاجة إلي بعد الآن. لا تحتاجني. كان يتحدث في صوت مختنق موجها كلامه إلى لا أحد بعينيه.

t.me/qurssan

ـ «أتمنى على اللّه «وتابع، لكنه كان ينطق اللّه الآن اللاااااه» أتمنى على اللّه لو أنني كنت رأيتها صريعة عند قدمي قبل أن أسمع منها هذه الكلمات. ليتها كانت فاقدة الحياة عند قدمي»

لا أعرف كم من الوقت كان ينوي المخلوق تكرار تلك العبارة، لأن السيدة وضعت حدا للأمر قائلة:

ـ «فرانك! فرانك!» صرخت في صوت جعل الغابة كلها ترتج. «انظر إلي. انظر إلي. ما الذي تفعله بتلك الدمية الكبيرة القبيحة؟ دع السلسلة. ارمها بعيدا. إنه أنت الذي أريد. ألا ترى أي هراء تقول؟»

بعينين فرحتين. كانت تتشارك مزحة مع القزم، مباشرة أمام التراجيدي. شيء بدا كابتسامة تكافح للظهور على وجه القزم، كان ينظر إليها الآن كانت ضحكاتها تخترق دفاعاته الأولى. كان يكافح للحفاظ عليها. لكنه لم ينجح. ضد إرادته، كان ينمو قليلا.

ـ «أوه، يا لك من إوزة كبيرة» قالت هي.» ما الذي يفيد الحديث بمثل هذه الطريقة هنا؟» أنت تعرف مثلي تماما أنك رأيتني ميتة منذ سنوات وسنوات مضت.» ليس عند قدميك» بالطبع، ولكن على الفراش في دار الرعاية. لقد كانت دار رعاية جيدة جدا. لم يكن «ماترون» يجرؤ على ترك أية أجساد ميته على الأرض! من السخف أن تحاول هذه الدمية أن تثير الإعجاب حول الموت هنا. لن يفلح الأمر هنا.»

t.me/qurssan

«13»

لا أعرف إذا كنت رأيت أبدا أي شيء آخر أكثر فظاعة من نضال هذا الشبح القزم ضد الفرح. ولأنه تقريبا تجاوز الأمر. في مكان ما، منذ عصور لا تحصى، لا بد وأنه كان ثمة شيء من الفكاهة والعقل فيه. وللحظة واحدة، بينما كانت تنظر إليه السيدة بحب وفرح، رأى عبثية الكائن التراجيدي. للحظة واحدة لم يسئ فهم ضحكتها على الإطلاق: هو أيضا كان لا بد وإنه يعرف أن الناس لا يجدون أحد أكثر سخافة من العشاق. ولكن الضوء الذي وصل إليه، وصل إليه ضد إرادته. لم يكن هذا هو اللقاء الذي تصوره، لم يكن يقبله. مرة أخرى عاد لحالته، ومرة واحدة تحدث الكائن التراجيدي.

ـ انفجر قائلا «أتجرئين على الضحك» «بوجهي؟ هل هذا جزائي. حسنا. إنه من حسن الحظ أنك لاتهتمين بمصيري. وإلا، قد تشعرين بالأسف بعد ذلك أنك دفعتني إلى الجحيم. ماذا؟ هل تعتقدين أنني سأبقى الآن؟ شكر لك. أعتقد أنني سريع إلى حد ما في التعرف على المكان الذي لا يكون مرحبا بي فيه. «لا حاجة لي» كان هو التعبير الذي أستخدمه على قدر ما أتذكر على نحو صحيح».

من هذا الوقت لم يتحدث القزم مرة ثانية: لكن ظلت السيدة توجه

t.me/qurssan

الكلام إليه. «عزيزي، لا أحد سيرسلك مرة أخرى. هنا كل الفرح. كل شيء يطلب منك البقاء.» لكن القزم ظل يصغر حتى أثناء حديثها.

ـ «نعم» قال الكائن التراجيدي.» بشروط، ربما تعرضينها على كلب. أما أنا فما زال لدي احترام للذات، وأرى أن رحيلي لن يشكل فرقا بالنسبة لك. أنه لا شيء بالنسبة إليك إذا ما عدت إلى البرد والكآبة، والوحدة، والشوارع الوحيدة.»

ـ «كلا، كلا فرانك، «قالت السيدة. «لا تدعه يتحدث هكذا.» لكن القزم كان الآن صغيرا جدا حتى إنها اضطرت للركوع على ركبتيها للتحدث إليه. لكن الكائن التراجيدي أمسك في كلماتها كما يمسك كلب بعظمة.

ـ قائلا» آه، لا يمكنك تحمل سماع ذلك!» صاح بنبرة منتصرة بائسة. «هكذا كانت دائما طريقتك، يجب أن تحمي نفسك. يجب أن تشيحي بنظرك بعيدا عن الحقيقة القاتمة. أنت التي لا يمكنك أن تكوني سعيدة بدوني، نسيتني! أنت لا تريدين حتى الاستماع لمعاناتي. تقولين لي لا. لا تخبرني. لا تريدين أن يجعلك الأمر تشعرين بالتعاسة. لا تريدين الاقتراب من حصنك الذاتي، جنتك الصغيرة، وها هي الجائزة.

ـ «ظلت السيدة منخفضة كي تحدث إلى القزم الذي أصبح الآن خيالا لا يزيد عن حجم قطة صغيرة، معلقا في نهاية السلسلة وقدميه على الأرض.

ـ «هذا لم يكن السبب في أنني قلت لك لا، أجابت»

t.me/qurssan

ـ أعني، انني أردت ان تتوقف عن هذا التصرف. لأنه ليس جيدا. إنه يقتلك. دع السلسلة. الآن»

ـ «تصرف» صرخ الكائن التراجيدي. «ماذا تعنين؟» كان القزم صغير جدا لدرجة أنني لم أتمكن من تميزه عن السلسلة التي كان مثبتا بها. والآن وللمرة الأولى أستطيع أن أجزم ما إذا كانت السيدة تخاطبة أو كانت تخاطب الكائن التراجيدي.

ـ «بسرعة،» قالت السيدة.» لا يزال هناك متسع من الوقت. أوقفه. أوقفه في الحال.»

ـ «أوقف ماذا؟»

ـ «استغلال الشفقة، شفقة الآخرين، بطريقة خاطئة. لقد فعلنا كلنا ذلك على الأرض. أنت تعلم. الشفقة كانت من المفترض أن تكون حافزا يدفعنا الى الفرح، إلى مساعدة البؤساء. لكن يمكن استغلالها بطريقة خاطئة. يمكن أن يتم استخدامها كنوع من الابتزاز، أولئك الذين يختارون البؤس يمكنهم أن يعتادوا افتداء الشفقة بالفرح. ذلك الآن. أترى، أنا أعرف ذلك الآن. حتى عندما كنت طفلا فعلت ذلك. بدلا من أن تقول آسف، كنت تذهب عابسا الى العلية... لأنك تعرف عاجلا أم أجلا، ستقول إحدى أخواتك «لا أستطيع تحمل التفكير فيه يجلس هناك وحده، يبكي.

ـ «لقد استخدمت شفقتهم عليك لابتزازهم، وهم في النهاية استسلموا. وبعد ذلك، عندما كنا متزوجين... لا يهم، لو أنك توقفه فقط.»

ـ ثم قال الكائن التراجيدي» وهذا،» هذا هو كل ما فهمته عني، بعد كل تلك السنوات.»

t.me/qurssan

لم أعرف ما أصبح عليه الشبح القزم الآن. ربما كان يتسلق السلسلة مثل حشرة: ربما امتصته السلسلة بطريقة ما.

ـ «لا، فرانك، ليس هنا» قالت السيدة.» استمع إلى العقل. هل تعتقد أن الفرح خلق ليحيا دائما تحت هذا التهديد؟ دائما دون دفاع ضد أولئك الذين يفضلون أن يكونوا بائسين من تخطي إرادتهم؟

لأنه كان بؤس حقيقي. أنا أعرف ذلك الآن. لقد جعلت نفسك بائسا حقا. وهو الذي ما زلت تفعله. لكن لا يمكنك التواصل مع بؤسك. كل شيء أصبح نفسه أكثر وأكثر. هنا يوجد الفرح الذي لا يمكنك أن تزعزعه. يمكن لنورنا أن يبتلع ظلامك: لكن ظلامك لا يمكن يصيب نورنا. كلا، كلا، كلا. تعال إلينا. نحن لن نذهب إليك. هل حقا فكرت أن الحب والفرح سيكونان دائما تحت رحمة العبوس والتحسر؟ ألا تعلم أنهما أقوى من أضدادهم؟»

ـ «الحب؟ كيف تجرئين على استخدام تلك الكلمة المقدسة؟» قال الكائن التراجيدي. في نفس اللحظة قام بجمع السلسلة التي كانت الآن لبعض الوقت تتأرجح بلا جدوى بجانبه. ثم بطريقة ما تخلص منها.

لست متأكدا تماماً، لكني أعتقد أنه ابتلعها. ثم لأول مرة أصبح من الواضح أن السيدة تراه ثم خاطبته هو فقط.

ـ «أين فرانك؟» قالت. «ومن أنت يا سيدي؟ أنا لم أعرفك مطلقا. ربما من الأفضل أن تتركني. أو ابق إذا كنت تفضل ذلك. وإذا كان ذلك سيساعدك وكان من الممكن أن أذهب معك إلى الجحيم: لكن لا يمكنك جلب الجحيم إلي.»

t.me/qurssan

ـ «أنت لا تحبينني». قال الكائن التراجيدي بصوت رفيع يشبه صوت الخفاش: وكان من الصعب الآن رؤيته.

ـ «لا يمكنني أن أحب خدعة، «قالت السيدة.» لا يمكنني أن أحب شيئا لست عليه. أنا واقعة في الحب، وبدونه لن أذهب.»

لم تكن ثمة إجابة. لقد اختفى الكائن التراجيدي؟ كانت السيدة وحيدة في الغابة. ثم قفز طائر بني تجاها، يخطو بقدمية المضيئة فوق العشب الذي لم أستطع أن أخطو فوقه.

في حينها وقفت السيدة وبدأت في المشي بعيدا. وجاءت الأرواح الساطعة الأخرى تتقدم لاستقبالها، وهي تغني:

«الثالوث السعيد هو بيتها: لا شيء يمكن أن يزعج فرحها.

إنه الطائر الذي يهرب من كل شبكة: الغزال البري الذي يتخطى كل شرك.

مثل الطير الأم بالنسبة لفراخها، أو الدرع بالنسبة لفارسه المدرع:

هكذا هو الرب في عقلها، في وضوحه اللا متغير.

لن تخيفها الأشباح في الليل: ولن تخيفها الرصاصات في النهار.

الزيف خدع بينما الحقيقة تهاجم بزهو: إنها ترى من خلال الكذبة كما لو أنها كانت زجاجا.

الجرثومة غير المرئية لن تؤذيها: ولا حتى ضربة الشمس المتلألئة.

ألف فشلوا في حل المشكلة، عشرة آلاف اختاروا المنعطف الخطأ: لكنها عبرت بأمان خلالها.

t.me/qurssan

لقد عينت الآلهة الخالدة لحضورها: عند كل طريق كان عليها أن تسافر فيها.

يأخذون بيدها في الأماكن القاسية: لن تضع أصابع قدميها في الظلام.

قد تمشي بين الأسود والأفاعي المجرسة: بين الديناصورات وأشبال الأسود.

إنه يملؤها باتساع الحياة: إنه يقودها لرؤية رغبة العالم.»

ـ والآن... وبعد...» قلت أنا لمعلمي، عندما عبرت كل الأشكال والغناء لمسافة بعيدة في الغابة» حتى الآن لست متأكدا تماما. هل من المقبول حقا ألا تتأثر السيدة ببؤسه. حتى بؤسه المخلق ذاتيا؟»

ـ «هل تفضل لو أنه ما زال يمتلك القوة لتعذيبها؟ لقد فعل ذلك مرات كثيرة لأيام ولسنوات عدة في حياتها الدنيوية.»

ـ «حسنا، لا. على ما اعتقدت أنني لا أريد ذلك.»

ـ «ماذا إذن؟

ـ «بالكاد أعرف يا سيدي. ما يقوله بعض الناس على الأرض هو أن الخسارة النهائية لروح واحدة تجعل من فرح كل هؤلاء الذين تم إنقاذهم كذبة.»

ـ «أترى، الأمر ليس كذلك»

ـ «أشعر بطريقة ما أنه يجب أن يكون»

ـ هذا يبدو رحيما جدا: لكن انظر إلى ما وراء ذلك.»

ـ «ماذا؟»

t.me/qurssan

ـ «مطالب المحرومين من الحب وسجناء الذات التي ينبغي السماح لهم بابتزاز الكون بها: والتي حتى يكونوا سعداء (بشروطهم الخاصة) لا يجوز لأي أحد آخر أن يتذوق السعادة: وأنه يجب أن تكون سلطتهم النهاية؛ أن الجحيم يجب أن يكون للاعتراض على الجنة.»

ـ «أنا لا أعرف ما أريد يا سيدي.»

ـ بني، بني. يجب أن تكون طريق أو الأخرى. إما أن يأتي اليوم الذي يسود فيه الفرح وكل صانعي التعاسة لا يعودوا قادرين على إفساده: أو إلى الأبد ودائما يتمكن صانعو التعاسة من تدمير سعادة الآخرين التي يرفضونها لأنفسهم. أعرف أن أصواتا كثيرة ستقول لك ألا تقبل الخلاص الذي يجعل ولو حتى مخلوقا واحدا يعيش في الظلام بالخارج. ولكن راقب تلك السفسطة التي ستجعل كلب يظل في مدود طاغية الكون.»

ـ «لكن أليست جرأة أن نقول ـ إنه لأمر مرعب أن نقول ـ إنه يجب على الشفقة أن تموت إلى الأبد؟»

ـ «عليك أن تميز. فعل الشفقة سيعيش إلى الأبد. لكن الشغف بالشفقة لن يعيش. الشغف بالشفقة، الشفقة التي نعاني منها، الآلام التي تدفع الرجال للتنازل عما لا يجب أن يتنازلوا عنه وتجعلهم يتكلمون بإطراء عندما يجب أن يقولوا الحقيقة. الشفقة التي خدعت الكثير من النساء ليفقدن عذريتهن والكثير من رجال الدولة لترك صدقهم ـ هي التي ستموت. لقد استخدمت كسلاح من قبل رجال أشرار ضد الأخيار: الذين سوف يكسر سلاحهم.»

t.me/qurssan

ـ «وماهو نوع العمل الأخر؟»

ـ «إنه سلاح على الجانب الآخر. يقفز أسرع من الضوء من أعلى مكان إلى أدنى مكان ليجلب الشفاء والفرح، مهما كانت التكلفة نفسها. إنه يحول الظلام إلى نور والشر إلى خير لكنه لن يفعل بدموع الجحيم الماكرة أن يفرض على الخير طغيان الشر. كل مرض له علاج سوف يعالج: لكننا لن نطلق على اللون الأزرق أصفر حتى نرضي أولئك الذين يصرون على استمرار الإصابة باليرقات، ولا يرغبون في صنع حديقة في وسط العالم بسبب بعض الذين لا يتقبلون رائحة الورود.»

ـ «أنت تقول إنها سوف تنزل إلى أدنى درجة، سيدي. لكنها لم تسقط معه الى الجحيم. حتى إنها لم تره وهو ينزل من الحافلة.»

ـ «أين كنت تريدها أن تذهب؟»

ـ «ماذا، من حيث أتينا جميعا من تلك الحافلة. الخليج الكبير، خلف حافة الجرف الصخري. هناك. أنت لا يمكن أن تراه من هنا، لكن يجب وأنك تعرف المكان الذي أعنيه.»

منحني معلمي ابتسامة غريبة بعض الشيء.

ـ قال» انظر ومع الكلمة نزل على يديه وركبتيه. فعلت بالمثل (وكم ألم ذلك ركبتي!) ورأيت في الحال أنه قطف شفرة من العشب. واستخدم نهايتها الرفيعة كمؤشر، ليجعلني أرى، وبعد أن نظرت عن كثب، رأيت صدعا صغيرا في التربة لم أكن لأتمكن من تحديده بدون مساعدته هذه.

t.me/qurssan

ـ قال» لا أستطيع أن أكون على يقين، أن هذا هو الشق الذي أتيت أنت من خلاله. لكن من خلال شق ليس أكبر من هذا هو ما أتيت أنت منه بالتأكيد.»

ـ «ولكن ـ «غمرني شعور بالحيرة لا يختلف عن الرعب. «لقد رأيت هاوية لا نهائية، ومنحدرات شاهقة ترتفع لأعلى ولأعلى. والآن هذه البلد على قمة المنحدرات».

ـ «نعم. لكن الرحلة لم تكن تتحرك. تلك الحافلة، أنت وكل من كان بداخلها، كنتم تزدادون في الحجم.»

ـ «هل تقصد إذن أن الجحيم ـ تلك المدينة اللانهائية الفراغ ـ هي في أسفل بعض الشقوق الصغيرة مثل هذا الشق؟»

ـ «نعم. كل الجحيم أصغر من حصاة واحدة من عالمك الأرضي: ولكنها أصغر من ذرة واحدة من هذا العالم، العالم الحقيقي. انظر إلى تلك الفراشة. لو أنها ابتلعت كل الجحيم، لن يكون الجحيم كبيرا بما يكفي ليسبب لها أي ضرر أو يكون لها مذاق.»

ـ «يبدو كبيرا بما يكفي عندما يكون المرء فيه يا سيدي.»

ـ «ومع ذلك كل الوحدة، والغضب، والكراهية، والحسد، والفساد الذي تحتوي عليه، إذا اجتمعت في تجربة واحدة ووضعت في الميزان ضد آخر لحظة من الفرح والسعادة التي اختبرتها في الجنة، لن يكون لها أي وزن يمكن تسجيله على الإطلاق.

لا يمكن أن ينجح السوء حتى في كونه سوءا حقيقيا بقدر ما الخير هو خير حقيقي. إذن، فكل بؤس الجحيم مجتمع دخل في وعي تلك

t.me/qurssan

الطيور الصفراء الصغيرة التي تقف على الغصن هناك، سوف يتم ابتلاعها بدون أثر، كما لو أن قطرة واحدة من الحبر قد سقطت في ذلك المحيط الهائل والذي لا يعد المحيط الباسفيك إلا مجرد مثقال ذرة فيه.»

ـ «لقد فهمت،» قلت في النهاية.» إنها لم تكن ملائمة للجحيم.

ـ «أومأ برأسه وقال:.» ليس هناك مكان لها، لم تكن الجحيم تستطيع فتح فمها بما يكفي لتتسع لها.»

ـ «وهي لم تكن تستطيع تقليص نفسها؟ ـ مثل أليس، كما تعرف.»

ـ «لا شيء صغير بما يكفي. لأن الروح الملعونة تكاد تكون لا شيء: إنها تتقلص، وتنغلق على نفسها. أن الخير يدق علي الملعونين دون توقف مثلما تدق الموجات الصوتية على آذان الصم، لكنهم لا يستطيعون استقبالها. قبضاتهم تكون مثبتة، وأسنانهم تكون مصرورة، ويغلقون عيونهم بسرعة. في أول الأمر لن يرغبوا فيه، وفي النهاية، لن يتمكنوا من فتح أياديهم للحصول على الهدايا، أو أفواههم من أجل الطعام، أو عيونهم ليروا.»

ـ «ثم لا يمكن لأحد الوصول إليها أبدا؟»

ـ «وحده الأعظم من يمكنه أن يجعل من نفسه صغيرا بما يكفي للدخول إلى الجحيم. لأنه كلما كان هناك شيء في الأعلى، كان بإمكانه أن ينحدر للأسفل ـ يمكن للرجل أن يتعاطف مع الحصان لكن لا يمكن للحصان أن يتعاطف مع فأر. واحد فقط هو الذي نزل إلى الجحيم.»

t.me/qurssan

ـ «وهل سيفعل ذلك مرة أخرى؟»

ـ «لم يكن منذ وقت بعيد حين فعل ذلك. الوقت لا يعمل بهذه الطريقة بمجرد أن تغادر الأرض. كل اللحظات التي كانت موجودة أو ستكون موجودة، أو هي موجودة، حاضرة في لحظة هبوطه. ليس هناك روح في السجن لمن لم يقم هو بتبشيره.»

ـ «وهل يسمعه البعض؟»

ـ «نعم»

ـ قلت «في كتابك، سيدي، كنت عالميا، لقد تحدثت فيه كما لو أن جميع البشر سيتم إنقاذهم. والقديس بول أيضا قال ذلك.»

ـ «لا يمكن أن تعرف شيئا عن نهاية كل الاشياء. أو لا شيء واضح في هذه الشروط. مثلما قال الرب للسيدة جوليان، أن كل شيء سيكون على مايرام، وأن كل شيء سيكون جيدا، وأن كل الاشياء وأساليب الأشياء ستكون جيدة. ولكن من غير الجيد التحدث عن مثل هذه الاشياء.»

ـ «ألأنها أشياء فظيعة، سيدي؟»

ـ «لا. ولكن لأن جميع الإجابات خادعة.

إذا طرحت السؤال من داخل الزمن وتساءلت عن الاحتمالات، تكون الإجابة مؤكدة. اختيار الطرق أمامك. لا شيء مغلق. أي إنسان يمكن أن يختار الموت الأبدي. أولئك الذين يختارونه سوف يحصلون عليه. ولكن إذا حاولت أن تقفز إلى داخل الأبدية، إذا كنت تحاول رؤية الحالة النهائية للأشياء كما هي (ولهذا يجب أن

t.me/qurssan

تتحدث) عندما لا يكون ثمة إمكانيات متبقية إلا الحقيقية فقط، عندها فأنك تسأل ما لا يمكن الإجابة عليه لتسمعه آذان فانية.

الوقت هو العدسة التي نرى من خلالها الصغير والكبير، كما يرى الرجال عبر الطرف الخاطئ من التليسكوب ـ وهو ما يجعل شيئا من شأنه أن يكون أكبر من أن تراه على الإطلاق. هذا الشيء هو الحرية: الهدية التي بها تكون أكثر شبها بصانعك وأنت نفسك تكون جزءا من الحقيقة الأبدية. ولكن تستطيع رؤيته من خلال عدسة الوقت، في صورة صغيرة واضحة، عبر تليسكوب مقلوب. إنها صورة لحظات تتابعت واحدة تلو الاخري وأنت تصنع بنفسك في كل لحظة بعض الاختيارات التي قد تختلف عنها.

لا التعاقب المؤقت ولا طيف ما قد تكون اخترت أو لم تختر هو الحرية نفسها. إنها عدسات. الصورة رمز: ولكنه أكثر صدقا من أي نظرية فلسفية (أو، ربما، أكثر من أي رؤية صوفية) تدعي أنها تبحث فيما وراءها. لأن كل محاوله لرؤية شكل الأبدية إلا من خلال عدسة الوقت تدمر معرفتك بالحرية. شاهد عقيدة الأقدار التي تظهر (حقا بما فيه الكفاية) أن الحقيقة الأبدية لا تنتظر مستقبلا حقيقيا؛ ولكن على حساب التخلص من الحرية والتي هي الحقيقة الأعمق للاثنين. ألن تفعل النزعة العالمية الشيء ذاته؟ لا يمكن أن تعرف حقيقة الأبدية بتعريف. الوقت نفسه، وجميع الأعمال والأحداث التي تملأ الوقت، هي التعريف، ويجب أن تحيا. قال الرب إننا آلهة. إلى متى يمكنك أن تتحمل النظر (بدون عدسة الوقت) على عظمة روحك والواقع الأبدي الذي تختاره؟».

t.me/qurssan

«14»

وفجأة تغير كل شيء. رأيت مجموعة كبيرة من الأشكال العملاقة التي لا تتحرك، كلها في صمت عميق، تقف إلى الأبد حول طاولة فضية صغيرة وتنظر إلى أعلاها. وعلى المائدة، كانت هناك أشكال صغيرة مثل الشطرنج، التي تذهب جيئة وذهابا للقيام بهذا وذاك. وعرفت أن كل قطعة منها كانت تمثل المعبود أو الدمية التي تمثل شخصا له حضور عظيم يقف بجانبها. كانت حركة قطع الشطرنج وتنقلاتها عبارة عن لوحة متحركة، كمحاكاة أو بنتومايم، والذي كان يحدد الطبيعة العميقة لسيده العملاق. كانت تلك القطع الشطرنجية التي تبدو كرجال ونساء كما يظهرون لأنفسهم وللآخرين في هذا العالم. والطاولة الفضية هي الوقت. وأولئك الذين يقفون ويشاهدون هم الأرواح الخالدة لنفس هؤلاء الرجال والنساء. ثم تملكني الدوار والذعر، فتمسكت بمعلمي قائلا، «هل هذه هي الحقيقة؟ إذا فكل ما رأيته في هذا البلد كان كذبا؟ هذه المحادثة بيننا والأرواح والأشباح ـ كانوا كلهم مجرد محاكاة لاختيارات تم اتخاذها بالفعل منذ وقت بعيد؟»

«أو ربما ليس كما تقول، والأمر هو توقعات لاختيارات سوف تتخذ عند نهاية الأشياء؟ أو من الافضل أن تقول إنها لا واحدة من ذلك. أنت رأيت اختيارات أكثر وضوحا من أن تراها على الأرض:

t.me/qurssan

كانت العدسة أكثر وضوحا. ولكن الأمر ما زال ينظر إليه من خلال العدسة. لا تسأل عن رؤية في حلم أكثر من رؤية في حلم يمكن منحها» «حلم؟ إذن أنا لست هنا حقا يا سيدي؟».

«لا، يا بني.» قال بعطف، أخذ يدي في يده»، الأمر ليس جيدا هكذا. فكأس الموت المرير ما زال أمامك. إنك تحلم فقط. وإن أردت أن تخبر عما رأيته، اجعل الأمر واضحا أنه لم يكن شيئا أكثر من حلم. أترى، أجعل الأمر واضحا. لا تعط الحمقى ذريعة بأن يظنوا أنك تتدعي معرفة ما لا يعرفة البشر. ليس لدي سويدبيرغس Sweden ـ borgs [1] ولا فالي أوينز [2] Vale Owens بين أطفالي.

«لا سمح اللّه، سيدي «قلت في محاولة لأبدو حكيما جداً.

«لم يسمح اللّه، هذا ما أقوله لك». وبينما يقول لي ذلك بدا في تلك اللحظة اسكتلنديا أكثر من أي وقت مضى. كنت أحدق بثبات

---

(1) Emanuel Swedenborg عالم وفيلسوف سويدي وصوفي وثيولوجي مسيحي له تاريخ حافل كعالم ومخترع ولد في 1688 ومات في 1772. دخلت حياته في طور روحي في عمر 56 حيث حدثت له رؤية أحلام وصلته إلى استيقاظ روحي ادعى فيه أن الرب يعينه لكتابة تعليم سماوي لإصلاح المسيحية، وأن الرب فتح عينيه مما سمح له بزيارة السماء والنار والتكلم مع الملائكة والشياطين والأرواح. وقدم للمحاكمة بتهمة الهرطقة. (المترجمة).

(2) Vale Owens فالي أوين رجل دين من كنسية انجلترا وواحد من أشهر الروحانيين في القرن العشرين (1869 ـ 1931) عمل كوسيط للأرواح أو القوى النفسية ثم اعتنق الروحانية وقام بتأليف عدد من الكتب عن إيمانه الجديد وأبرزها مجلد مكون من خمسة أجزاء بعنوان الحياة ما وراء الحجاب. نتج عن أعمال أوين أن أجبرته الكنيسة على الخروج منها وكان لهذا تأثيره الشديد عليه حيث فقد مصدر دخله وبدأ في تعيز نشاطه الروحاني والقيام بجولات لإلقاء المحاضرات في الولايات المتحدة وانجلترا. (المترجمة)

t.me/qurssan

في وجه. تلاشت رؤية الشطرنج، ومرة أخرى كانت الغابة الهادئة في الضوء البارد قبل شروق الشمس أمامنا. ثم، وأنا لا أزال أنظر إلى وجهة، رأيت هناك شيئا جعل جسدي كله يرتعد. وقفت في تلك اللحظة وظهري إلى الشرق والجبال، وكان هو أمامي، ينظر إليهم. توهج وجه بضوء جديد. وتحولت نبته سرخس وراءه بثلاثين ياردة إلى اللون الذهبي. لمع الجانب الشرقي من جذع كل شجرة. تعمقت الظلال. طوال الوقت كانت هناك أصوات طيور، وتريلات، وثرثرة، وما شابه ذلك؛ ولكن فجأة انسكبت الجوقة كلها من كل فرع. كانت الديوك تصيح، كانت هناك موسيقة نباح كلاب الصيد، وأبواق؛ وإضافة لكل هذا عشرات الآلاف من أصوات أحاديث الرجال وملائكة الغابات والغابة كلها كانت تغني.

«أنه آت! إنه آت!» «النائمون استيقظوا! إنه آت، إنه آت، إنه أت.» نظرة واحدة مرعبة من فوق كتفي ليست طويلة بما يكفي لأتمكن من أن أرى (أو هل رأيت؟) حافة شروق الشمس التي كانت تطلق النار على الوقت بسهام ذهبية وتضع كل الأشباح في معركة. وأنا أصرخ، دفنت وجهي في طيات رداء معلمي. «الصباح، الصباح!

ـ «صرخت. «لقد علقت في الصباح وأنا شبح». ولكن بعد فوات الأوان، كان النور مثل كتلة صلبة غير محتملة الحد والوزن، جاءت مرعدة فوق رأسي.

في اللحظة التالية كانت ثنايا ثوب معلمي التي كنت أتمسك بها، مجرد طيات من قماش قديم ملون بالحبر فوق طاولة الدراسة التي سحبتها معي عندما سقطت من فوق مقعدي.

t.me/qurssan

ولم تكن كتل الضوء سوى الكتب التي سحبتها معي، عندما سقطت لتتناثر من حولي. لقد أفقت في غرفة باردة، وأنا مكوم فوق الأرض بجانب مدفأة سوداء فارغة، حينها دقت الساعة الثالثة ثم انطلقت صفارات الإنذار.

t.me/qurssan

أعمال أخرى للمؤلف

1. رسائل الشيطان (رسائل خربر)
2. ما وراء الشخصية
3. معضلة الألم
4. المسيحية المجردة
5. السلوك المسيحي
6. الخروج من الكوكب الصامت
7. انسحاب الحاج
8. بيريلندارا

t.me/qurssan

عن المترجمة:

د.عبير الفقي شاعرةٌ ومُترجِمةٌ مصرية، مواليدعام 1972. صدرت لها أربعة دواوين شِعرية: «من أحاديث الوردة» 2017، «كلُّ شيءٍ يحدث هناك» (2015)؛ «رُوحٌ قديمةٌ بنافذةِ عرضٍ» (2014)؛ «أنا لا أكتبُ إليكَ» (2013). قامت بترجمة مجموعة شعرية بعنوان «محترقا في الماء، غارقا في اللهيب»، تشارلز بوكوفسكي (نشر الكتروني).

كما نُشرت لها عدد من النُّصوص الشعرية والترجمات والدراسات الأكاديمية في عدد من المجلات والمواقع الأدبية (مجلة الثقافة الجديدة، مجلة أفكار الأردن، مجلة الآداب، مجلة منتدى الفكر، روزاليوسف، مجلة صباح الخير، بوابة الحضارات، الجسرة الثقافية ـ أصوات الشمال).

t.me/qurssan

t.me/qurssan

خرجت وكان النور والبرودة التي عمرتني يشبهوا مثيلاتهما في أي صباح صيفي
الصباح الباكر في اللحظات التي تسبق شروق الشمس ، إلا أنه كان ثمة اختلاف معين
كان يتملكني أحساس بأنني في مساحة اكبر ربما حتى مساحة أكبر من التي عرفتها
من قبل : كما لو أن السماء كانت أبعد ومدى السهول الخضراء أوسع مما يمكن
أن يكون فوق هذه الكرة الصغيرة المسماة بالأرض
كنت قد "خرجت" ليواجهني نوع من الاحساس جعل النظام الشمسي
نفسه يبدو مسألة داخلية ،لقد منحني شعورا بالحرية
لكن أيضا شعور بالانكشاف ، ربما بالخطر
الذي استمر في مصاحبتي خلال كل ما لحق بعد ذلك

t.me/qurssan